6 (1358/59 = 1939/40)

السنة السادسة (جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ هـ - يوليه سنة ١٩٣٩ م) العدد الأول

صحيفة دار العلوم

م ١٩٣٤ هـ ١٣٥٣

تصدرها "جماعة دار العلوم"
كل ثلاثة أشهر

المدير
محمد نجيب حتاتة

رئيس التحرير
محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

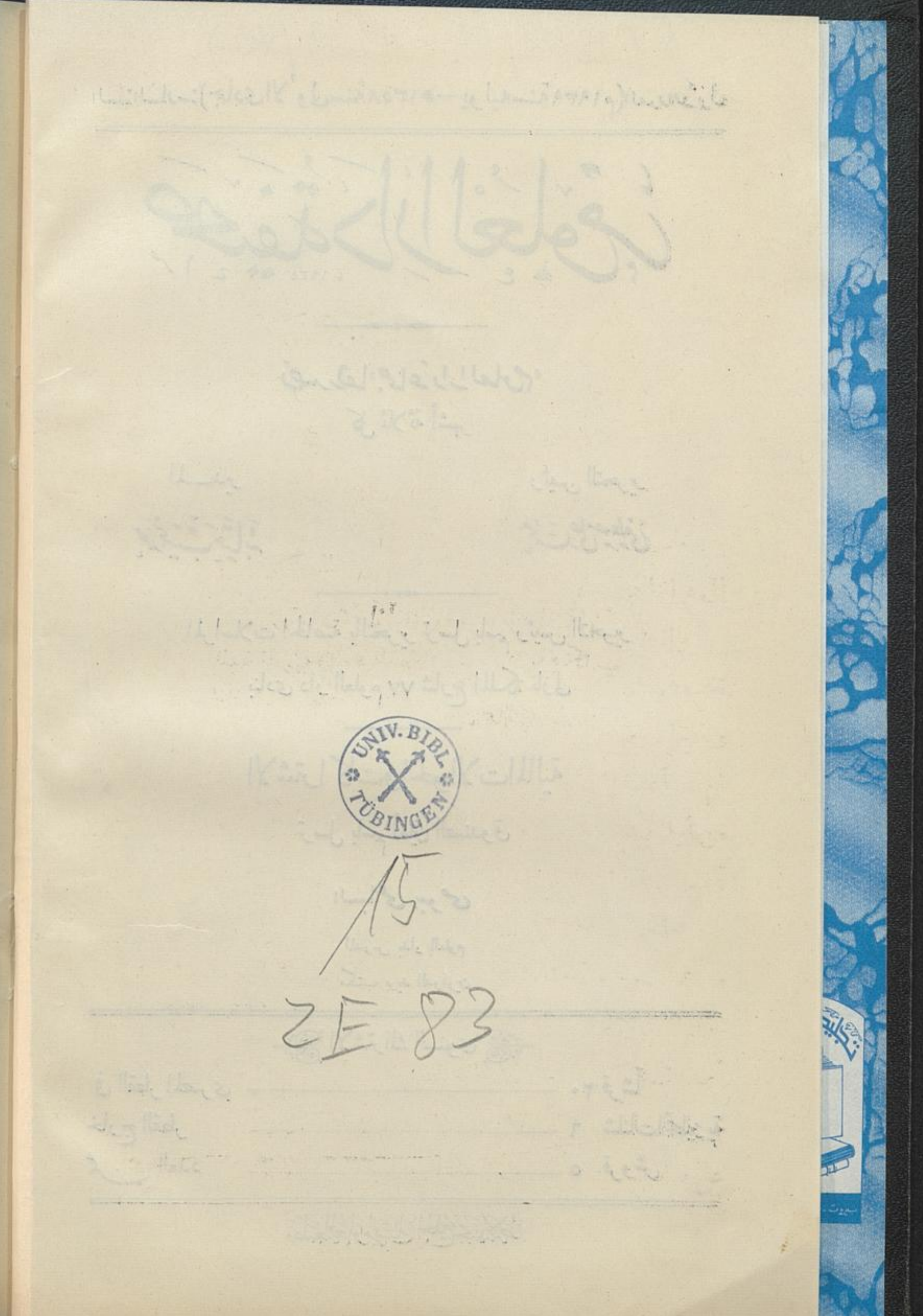
السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٦ شلنات انجليزية
ثمن العدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ


UNIV. BIBL. TÜBINGEN
15
ZE 83

«إنَّ باحثًا مُدقِّقًا لو أرادَ أن يعرِفَ أينَ تموتُ اللغةُ العربيّةُ وأينَ تحيا، لوجدَها تموتُ في كلِّ مكانٍ وتحيا في دارِ العلومِ»

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

باسم الله تبدأ صحيفة دار العلوم سنتها السادسة، وتستعينه على أداء رسالتها إلى قرائها من أبناء دار العلوم وغيرهم فى مختلف أقطار العربية.

وإنه ليزيدنا إيمانا بقوتنا، ويحفزنا إلى مضاعفة الجهد وبذل الطاقة، أن نقف فى هذه الفترة لحظة قصيرة، لنعيد ذكرى ماحققت جماعة دار العلوم، وناديها، وصحيفتها فى أمس، من الأغراض التى قامت لها وأنشئت من أجلها؛ ثم نمد أعيننا إلى غد متفائلين مستبشرين، مجددين العهد الذى قطعناه على أنفسنا من أول يوم: أن نكون ترجمانا صادقا لأبناء دار العلوم، يعبر عن ذات أنفسهم، وينطق بلسانهم فى كل مايهمهم من شئون، وما يهم الناس منهم:

أما صحيفة دار العلوم، فليس بنا من حاجة إلى تفصيل جهودها فيما أسلفت من عمل، وهذه أعدادها بين أيدى القراء يطالعون فيها مقدار ما نبذل من جهد لتكون صلة القربى بين أبناء دار العلوم فى مختلف البلاد، ثم بينهم وبين أصدقائهم الكثيرين من قراء هذه الصحيفة؛ ولم نأل جهدا فى العناية بكثير من البحوث الجديدة فى الفن والأدب، التى يهم قراء العربية أن يلمّوا بها ليكونوا على صلة بالجديد من شئون الفن والأدب.

وأما جماعة دار العلوم، فقد بذلت فى السنة الماضية من الجهد ما يُذكر لها بالثناء والإعجاب، وإذا كانت الجماعة لم تتعود الإعلان عما تعمل لأبناء دار العلوم، فإن آثار جهادها فى الدفاع عن الطائفة والتماس الوسائل فيما ينفعها ويرفع الغبن عنها — ظاهرة ملموسة لكل ذى عين.

فلقد بذلت الجماعة جهوداً موفقة فى السنة الماضية لإعلان حق أبناء دار العلوم بالمقابلات، والمذكرات، وغيرها؛ ويسرنا أن يكون لهذه الجهود نتائجها التى تبشر بالخير فى وقت قريب إن شاء الله؛ ولقد أحس المعلمون شيئا من آثارها فى الترقيات وتوزيع الدرجات فى خلال السنة الماضية.

على أن الجماعة لم تقف جهودها عند هذا الحد من المطالب المادية، فقد كان لها إلى ذلك جهود علمية مشكورة كان لها أثرها فى الدوائر العلمية فى وزارة المعارف وغيرها؛ من ذلك ماقدمته الجماعة إلى وزارة المعارف من بحوث فى وسائل تيسير القواعد، وإعداد المعلم، وغيرها؛ وقد طالع القراء فى أعداد الصحيفة للسنة الماضية طائفة من هذه المذكرات التى أعدتها جماعة دار العلوم.

وفى رعاية الجماعة صدرت فى السنة الماضية بضعة كتب علمية، جديدة فى موضوعها فريدة فى نسجها، تزيد الثروة العلمية لأبناء دار العلوم، وفيها شهادة جديدة على مقدار مايؤدون للثقافة العامة من خدمات؛ وحسبنا أن نذكر من هذه الكتب، كتابى «حياة الرافعى» للأستاذ محمد سعيد العريان، و«الطفل من المهد إلى الرشد» للأستاذ محمد خلف الله، وقد قامت الجماعة بطبع الكتاب الثانى منهما على نفقتها؛ تحقيقا للغرض الذى التزمته فى تشجيع البحوث الجديدة

فى العلم والأدب . وقد لقى هذان الكتابان من احتفال الأدباء وأهل الفن وتقدير رجال التعليم فى وزارة المعارف وغيرها مايثلج الصدر ويبعث على الرضا والارتياح .

ولقد قام النادى فى خلال السنة الماضية بواجبه كذلك ؛ فكانت صلة طيبة بين روّاده من أبناء دار العلوم ، يسمرون فيه ويتبادلون الرأى فيما بينهم من شئون العلم أو من شئون الحياة ؛ وحسْب النادى أن يحقق هذه الغاية . على أنه كان له إلى ذلك مشاركة فعّالة فى نهضة الثقافة العامة بين أبناء دار العلوم ، فقد أذيعت منه طائفة من المحاضرات القيّمة فى مختلف شئون الفن والأدب ؛ وحسبنا أن نشير إلى المحاضرات التى أنشأها الأساتذة : عبد الوهاب حمودة ، ومحمد سعيد العريان ، والشيخ طنطاوى جوهرى ، وعبد الرازق حميدة ؛ وقد حرصت صحيفة دار العلوم على نشر هذه المحاضرات ؛ ليطالعها من لم تتهيأ له الفرصة لشهودها تقريبا بين أبناء الدار فى مختلف أنحاء البلاد . ونأمل أن يتسع نطاق هذه المحاضرات فى العام الآتى ، بحيث يتحقق منها الغرض الذى نرجوه كاملا إن شاء الله .

***

. . . . وفى مصر اليوم نهضة بارزة الأثر ، تتجه إلى العناية باللغة العربية ، باعتبارها أوّل مقوّماتنا الوطنية ، ورباط الثقافة وصلة القرابة بيننا وبين إخواننا فى بلاد الشرق العربى ؛ ويسرّنا أن يكون لأبناء دار العلوم فى هذه النهضة مشاركة تجعلهم — كالعهد بهم دائما — فى طليعة المجاهدين لتحقيق هذه الغاية

السامية ؛ ونرجو أن تكون جهودهم فى هذا السبيل مما يؤكِّد الحقيقة التى يذكرها لهم التاريخ الأدبى حين يذكر جهاد العاملين فى هـذا الجيل للنهوض بلغة العرب.

وحسبهم من المشاركة فى هذه النهضة محاولاتهم فى تيسير دراسه قواعد اللغة العربية ، وقرارهم فى « لجنة أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية » — وقد نشرنا خلاصته فى هذا العدد.

وقد وكلت وزارة المعارف إلى نخبة من أبناء دار العلوم العمل على تقريب طائفة من كتب الأدب القديم وعرضها عرضا حديثا يوافق عقول الناشئين من المتأدبين وتلاميذ المدارس ؛ وهو اختيار وافق أهله ، واعتراف بكفاية أبناء دار العلوم للقيام على حركة « البعث » التى تعمل لها وزارة المعارف للتقريب بين الجديد من آدابنا والقديم من تراث السابقين من أدباء العربية.

٭٭٭

وقبل أن نختم هذه الكلمة ، نرى مما لابد منه أن نشير إلى شىء مما كان منذ قريب بين دار العلوم وغيرها من المعاهد التى تنازعها الحق فى تدريس اللغة العربية ؛ ومانريد بهذه الإشارة أن نؤيد حقا يعترف به الجميع لدار العلوم التى تقوم على خدمة اللغة العربية منذ سبعين عاماً قياماً لايدع لغيرها حقافى الدعوى ، ولكنا نريد أن نؤكد لإخواننا من خريجى دار العلوم ، أن جماعتهم قائمة بواجبها فى الدفاع عن المعهد الذى ندين له بالوفاء بمقدار ماتدين له اللغة العربية نفسها بما قدَّم لها من خدمات سيذكرها التاريخ الأدبى للغة العربية على مرّ العصور.

ولم تَنِ الجماعة فيما سبق ، عن الجهاد لإعلان الحق فى هذه القضية، ولن تنى عن متابعة السعى له ؛ وحسبها من آثار الجهاد فى هذا السبيل ما كسبت من أنصار لهذه القضية فى وزارة المعارف وفى غير وزارة المعارف ، والله المسئول أن يوفقنا إلى ما يكون فيه الخير للغة العربية ، ولأبناء دار العلوم؟

المدرسة الاولية

عنيت فى السنوات الأخيرة طائفة من رجال التربية والتعليم فى مصر بالبحث فى المدرسة الأولية وإصلاحها وما ينبغى أن تحققه من الأغراض ، والاتجاه الذى يجب أن تسير فيه ، وقد ألقيت فى هذا الموضوع محاضرات عدة استحق أصحابها جزيل الشكر عليها من المستمعين

ولقد رأينا فى ذلك فرصة مواتية لنشر البحث الجليل الذى قام به الأستاذ المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش بك ورفعه إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف محمد توفيق رفعت باشا سنة ١٩٢٥

حضر صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

يشرفنى أن أقدم لمعاليكم — مع هذا — مشروع الجمع بين التربية العلمية والتربية العملية ، فى المدارس الأولية الذى أرى تطبيقه من بدء السنة الدراسية ١٩٢٥ — ١٩٢٦ بعد إذ فكرت وقدرت ، وسألت الكثير من ذوى الرأى فى الأقاليم وأمهات المدن المصرية ؛ راجياً أن يكون فى حسن قبولكم إياه ما تحقق به مصلحة البلاد وتسعد سائر طبقات الأمة فى ظل حضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم.

مقـــدمة

معلوم أن تفشى الأمية كان ينبوع آلام شديدة للشعب المصرى، ومصدر كثير من مشاكله ومتاعبه الحيوية والاجتماعية، وكذلك كانت آثاره فى الأمم التى سبقتنا إلى التخلص من شروره .

لذلك كان خير ما أعد حديثا لمعالجة هذه الآفة المشقية ماقرره الدستور من جعل التعليم الأولى إجباريا . ولو أن القوة المالية للدولة كانت تحتمل النهوض العاجل بما يستلزمه ذلك الجهاد الكبير من النفقات الباهظة لاستطعنا أن نودع منذ اليوم تلك الآفة المكروهة غير آسفين . ولكن قضت الأسباب القهرية أن لا بد لنا من التدرج فى مكافحتها رويدا رويدا حتى نبلغ المستوى الذى سبقنا إليه غيرنا من الأمم . فإذا ما قدر لسبيلنا أن تسلم بعناية الله تعالى من العواثير والعقبات كانت بضع السنوات المقبلة كافية لبلوغنا المقام الذى فيه تولى الأمية الأدبار ويسمع صرير الأقلام فى كل دار .

ولكن هل بالفوز على الأمية وهزيمتها يمكن أن تستوثق الأمة من أعنة السعادة الاجتماعية وتستولى بيدها على ناصية الصلاح والفلاح فى شعب حياتها المختلفة ؟ إذا كانت الأمم تقاس بأشباهها، والسوابق التاريخية مدارس للمستبصرين وعبر للمعتبرين، فإن فى تجاريب الأمم الغربية والأطوار التى تعاقبت عليها ما يدلنا على (أن الأمية ليست هى وحدها ألد أعدائنا وأضر خصومنا، بل إن لها لصنوا كان فى كل عصر عونا لها على مضاعفة شقاء الأمم ودهورة أخلاقها ومطاردة الأمن والسلام عن ربوعها. ذلك هو عطول اليد من الصناعات ذلك العطول الذى يفقد به الحياة العملية ثم يستحثه على التماس أكثر العيش بمرذول الوسائل التى لا يفكر فيها إلا العاطلون، ولا يطيب بها إلا العجزة الساقطون) ولا عجب فإن شعور النفس البشرية بالعجز عن منازلة الأنداد فى المعارك الحيوية العادية ما يحملها على التذرع إلى حاجاتها ومآربها بما يتيسر لها من مقبوح الوسائل ومرذول المساعى كالتزوير والاحتيال والتمليق والرياء والبهتان والإفك والسعاية وضروب السرقات كشق الجيوب وقطع الطرقات والسلب والغصب والنهب وكالقمار والرهان والاتجار بالعرض والإغراء بالمناكير وهكذا من المساوى والرذائل المتعدية الأضرار المنكرة الآثار .

لقد كانت الأمم قبلنا تحسب أن الأمية هى جماع الشرور وعش الرذائل، حتى إذا ماجندلوها وأجهزوا عليها خيل لهم أن قد ظفروا بأكسير السعادة، وملكوا ناصية الفلاح، ثم لم يلبثوا أن أرتهم التجاريب المرة أنه إذا كانت الأمية ذنب الأفعى فإن العطول رأسها ،وأن اليد لاتسلم من مفارقة الحركات الآثمة إلا إذا كانت متحلية بحرفة أوصناعة ، ولاعجب فإن اليد مطبوعة كالعقل على الحركة،فإذا لم ترَض بالحكمة وتعود الأعمال النافعة الصالحة عاشت لامناص لها من الحركات العابثة أو الحركات الضارة ، وإذا كانت الأمثال العامة هى ترجمان تجاريب العصور ولسان حكمة الأوائل فإن لنا فى الكلمة المصرية المأثورة « اليد البطالة نجسة » مالانحتاج معه إلى الإكثار من الأمثال والاستشهاد بما لغيرنا من الآراء والأقوال.

والخلاصة أن التجاريب قد علمت الأمم التى سبقتنا إلى التربية والتثقيف أنه لايجوز الاقتصار فى الدراسة على إرباء العقل من طريق الأذن والعين، بل يجب أن يكون لليد نصيبها من الدربة والمرانة على الصناعات والزراعات التى هى قوام سعادتنا الحيوية . ولاينبغى أن يغيب عن أذهاننا ماقدمت لنا من الآثار السيئة تجاريب العشرين سنة الماضية التى أبعدت تلاميذ المدارس الأولية عن مزاولة الزراعة وسائر المهن ، ونفرتهم من العودة إليها بعد انتهاء مدة تلك الدراسة . فلقد كثر بذلك فى الأمة سواد العاطلين والمجرمين والمفسدين والمعربدين، كما كسدت الأسواق القومية،وتوارت الصناعات الوطنية،وكادت نار هذه الآفة الساحقة الماحقة تجتاح ـحتى الزراعةـ التى هى حتى اليوم عماد حياة هذه البلاد .

ولقد وقع من قبلنا من الأمم قديما فيما لانزال مرتطمين فيه حتى اليوم، فما أنجاهم سوى تربية أيدى دهمائهم لتمكينها من صنوف العمل ووسائل العيش. وبذلك استطاعوا أن يرفعوا فى أممهم مستوى الأخلاق ويطهروا أنفسهم من

الرذائل والمساوىء التى شاهت بها نفوس العاطلين ، كما استطاعوا أن يجعلوا حياة شعوبهم حياة رغد وصفو لا ندرها عسرة ولا تقلقها ضائقة، ولا بدع فإن الصنعة فى اليد مفتاح رزق للمعوزين وجمال أو رياضة للمستغنين .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن قد تأسست للتربية فى مؤتمر كاليه (١٦ أغسطس سنة ١٩٢١) جماعة تسمى « الجماعة الشعوبية للتربية الحديثة » ودعت المدرسة التى تريد أن تقام فى سائر الأمم « بالمدرسة العاملة » ومبادىء هذه الجماعة تنحصر فيما يلى :—

أولا — تنمية روح الإدراك فى الطفل حتى يفهم أن مرتبة العقل فوق كل مرتبة .

ثانيا — احترام شخصية الطفل بأن يخوّل الحرية فى أن يتصور مايدور بخلده .

ثالثا — أن تكون الدراسة مما يغرس فى نفس الطفل الميل والنشاط إلى الدخول فى معترك الحياة .

رابعا — أن يكون لكل سن ماينا سبه، ويكون النظام بحيث يرمى إلى تقوية شعور التلاميذ بالمسئولية الخاصة والعامة .

خامسا — يجب نبذ حب الذات ظهريا وحذفه من منهاج التعليم ويعتاض عنه المعاونة والمساعدة اللتين تغرسان فى نفس الطفل الشعور بأنه وقف على المصلحة العامة ،

سادسا — هذا والتربية الحديثة التى تقصدها الجمعية هى التى تعد الطفل لأن يكون رجل الغد ، يؤدى الواجب عليه لذوى قرباه ومن حوله ولأمته وللإنسانية ، وليس ذلك فحسب بل أيضا أن يكون إنسانا كاملا بمعنى الكلمة .

ولقد شعرت فى أثناء عودتى من انجلترا عام ١٩٠١ بضرورة إصلاح أحوالنا الاجتماعية والاقتصادية من هذا الطريق، وطلبتُ من الوزارة إذ ذاك

تأسيس نظام العمل نصف اليومى ، وبعبارة أخرى تأسيس المدرسة العاملة ، فكان كل ما أنجزته إرسال عدد قليل من طلاب المدارس الأولية إلى مافى حى بولاق والقلعة من دور الصناعة (الورش) واستمرت تفعل ذلك بضعة أعوام . ومما لاتمارى فيه أن تجربة هذه الأعوام القليلة كانت مرضية جدا، يعترف بذلك من عرفوا مصاير تلك البعثات التى جمعت بين الدراسة المكتبية والتربية الصناعية .

لهذا كله وجب ألا نتقاعد لحظة ما عن إصلاح شئوننا بإقامة المدرسة العاملة التى هى أساس حياتنا الاجتماعية والخلقية والاقتصادية جميعا ، وبذلك نكون قد أقمنا ماوجب علينا لبلادنا من فريضة الإصلاح الذى هو أعظم رغائب مليكنا المعظم قرن الله أيامه بالخير العميم آمين .

المدرسة العاملة

جرت العادة أن تشغل الدروس المكتبية جميع ساعات الدروس اليومية، فأما الآن فإنه لابد لنا من تقسيم الوقت تقسيما يطهر الطالب من الأمية ، كما يمكنه من مقاليد الزراعة أو شىء من الصناعات .

ولذلك رأينا أن يكون حظ المكتب نصف اليوم فقط بحيث تشغل غرف الدراسة طائفتان من التلاميذ: طائفة من الصباح إلى نحو الظهر، والأخرى من بعد الغداء إلى المساء .

أما النصف الآخر من اليوم فإن التلاميذ الذين ليسوا فى المكتب يدربون فيه بالحقول الزراعية ومعاهد الأعمال اليدوية وفق النظام الداخلى الذى سيوضع لذلك .

ومن ثمرات هذا المنهج الجديد أن عدد المتعلمين فى المدارس الأولية سيكون مضاعفا من غير أن يستتبع هذا زيادة فى عدد المعلمين ، ولا صرف شىء من المال لإقامة أبنية لتلك المضاعفة .

ولا يخفى ماينجم عن ذلك من تعجيل القضاء على الأمية، وتقريب اليوم الذى تتحقق فيه شروط التربية الإجبارية ووسائلها.

القرآن الكريم:

حرصا على الإكثار من الحفاظ، ورغبة فى عدم تنفير الأهالى من المشروع، ولكيلا يسيئوا تأويله ويظنوا أنه وضع لمدافعة القرآن الكريم ومناهضته.

نرى عمل ترتيب مخصوص لمن يريد إتمام حفظه من التلاميذ، وعلى الخصوص أن من هذه الطائفة تتغذى مدارس المعلمين الأولية، وبوجودهم يدوم حفظ الكتاب الحكيم.

أغراض الدراسة العملية:

من المحقق أن الأمة ستكتسب فى إنفاذ هذا المشروع من المنافع والفوائد الجمة ماتكون به خليقة أن تتخذ مكانها فى مصاف الأمم الراقية التى فهمت معنى الحياة، وعرفت الوسائل الموصلة إلى إسعادها.

تحتوى الدراسة العملية على طائفتين من المواد: إحداهما الخاصة وهى التى ترقى الحياة البيتية، وتشمل: تدبير المنزل. الطباخة. الخياطة. صنع الملابس المنزلية. النسيج اليدوى. النجارة والحفر الخشبى بالمبراة ونحوهما. صنع الخيزران. القصب. العمل فى الحدائق والبساتين.

أما القسم الآخر فهو الصناعات العامة وغالبه تجارى: ومنه، شغل الإبرة. الوشى. التطريز بخيوط الذهب. الشبيكة (التنتلة) عمل السجاد. ضفر الخوص. الجوارب. الأحذية. النسيج على المنوال. الحفر. عمل الأثاث والفرش. صناعة الخزف وأشباهها من المصنوعات الطينية.

وفيما يلى مجمل أوجه النفع التى نجتنيها من هذا المشروع: —

١ — إصلاح شئون المنزل ورفع مستوى الحياة الخاصة إذ أن المتعلمين من النشء ذكورا كانوا أم إناثا سيدخلون فى بيوتهم كل ما أصابوه من ضروب

التعليم التى تلقوها ، ويعملون على تهذيب أنفسهم بما يتناسب وحالتهم العلمية والعملية .

٢ — تدريب أيدى الشعب وتعويدها هى وأعينهم الدقة والإحكام فيما يزاولون من الأعمال، ويقطعون من الأحكام، فينشأ الفرد قليل الخطأ فيما يفكر وبقـــدر .

٣ — اعتبار الاخشيشان والتجافى عن الانغماس فى الترف وعدم النفور مما تستلزم مزاولة المهن والزراعة مباشرته من المواد .

٤ — إعداد الأمة للحياة العملية والاستقلال بوسائل العيش وإراحتها من العجزة المتعطلين الذين يكدرون صفو المملكة بما توسوس به فى صدورهم شياطين الإملاق ومفسدة الفراغ .

٥ — إن تعليم الزراعة والصناعة على المبادىء العلمية خليق بتحسين وترقية حالها ووفرة محصولها وفرة تتسع لتصدير مايفضل منها عن حاجة الأمة إلى خارج المملكة أسوة بالممالك الأجنبية الغنية ، ولايخفى أن ذلك يدر على الأمة من أخلاف الرزق مايعلى منزلتها الاقتصادية ويصلح شئونها المالية ، ويمكنها جلب ماتحتاج إليه من مصنوعات الأمم الأخرى على أهون سبيل .

إجمال القول أن كثيرا من أمورنا الاقتصادية الحاضرة ينمو ويرقى إذا أعطى نصيبا صالحا من اهتمام العاملين وعنايتهم ، فإن ذلك يوفر مايستعمل من الأثاث والأغذية والملابس الصالحة توفيرا يتيسر معه مضاعفة العناية بتدبير المنزل وغيره ومضاعفة القوة المالية لمجموع الأمة .

إن مصر بلد كغيره من الأقاليم الزراعية التى تتخلل مواسم الزراعة والحصاد فيها فترات واسعة من الزمن يتسنى فيها بسهولة نشر هذه الصناعات اليدوية، وفى ذلك أكبر عون على تحقيق تلك الأغراض الاقتصادية ، وخصوصا أن للمصرى استعدادا للصناعات اليدوية وحذقا عرف بهما من أقدم العصور .

برنامج العمل :

يوجد الآن بالمدارس الأولية التى تديرها وزارة المعارف ٢٢٤١٥ تلميذا يضاف إليهم فى العام القادم نحو ٨٠٠٠٠ تلميذا فى المدارس المزمع إنشاؤها، فيكون لدينا نحو ١١٢٤١٥ تلميذا منهم ٧٣٧٣٤ تزيد سنهم على سبع سنوات، وهذا العدد سيتزايد عاما فعاما تبعا لعدد ماينشأ من مدارس نشر التعليم الأولى، أما سن التعليم فيمكن أن يكون مبدؤها الخامسة، ولكن لايبدأ فى تدريب التلاميذ على الأعمال اليدوية فيما نرى قبل الثامنة لأنهم لايقوون على معاناتها ولايقدرون على احتمال ثقيل تكاليفها .

وقد أسلفنا أن التلاميذ يجب ألا يشتغلوا فى حجرات المدرسة إلا نصف اليوم فقط؛ ولذلك ينبغى إعفاء التلاميذ الذين لم يبلغوا الثامنة من دراسة النصف الثانى من اليوم ، لأن التجارب فى سائر الممالك دلت على عدم تحمل من دون الثامنة البقاء فى المدرسة أكثر من ذلك .

أما الذين سيدربون على مزاولة الحرف فيجب العمل على حمايتهم وتعيين مراقبين يتولون الفحص عن أحوالهم من الوجهات الصحية والعملية والاقتصادية، مادامت البلاد محرومة من القوانين والنظم التى وضعت فى الممالك العربية لحماية العمال من أرباب الأموال، ذلك لكيلا يرهقهم أصحاب المصانع، وحتى لاتضيع ثمرات كدهم هباء من جراء أطماع أهليهم أو الذين سيعمل هؤلاء المساكين لديهم ونرى أن يقدر للتلميذ أجر عند بلوغه حدا معينا من المرانة على أن يودع جزء من هذا الأجر لايقل عن نصفه فى صندوق التوفير، أو يودع إحدى شركات التأمين حتى إذا ماأتم الدراسة والمرانة وجد عنده مايحبب إليه الاستمرار فيما تعلمه، وتشجيعه على إتقانه وإجادته، ولم يستقر الرأى بعد على شىء قاطع فيما يجب أن يختار للتلاميذ من هذين الأمرين لأنه مازال قيد الدرس تبتدىء التربية العملية التى نريدها من هذا المشروع، أو بعبارة أوضح التربية الصناعية بتثقيف

التلاميذ، وتمرينهم على المقدمات الأولية لشعب الزراعة أو الصناعات، ثم يتدرج بهم شيئاً فشيئاً من السهل إلى الصعب ومن البسائط إلى الدقائق الفنية، فإذا نحن وفقنا إلى قطع هذه المرحلة الأولى كان من اليسير إذ ذاك أن تتدارك الوسائل التى تقام بها المصانع والمدارس الزراعية، للتقدم بمن يريدون السير فى ذلك إلى مدى أبعد وغاية أسمى.

التعليم الزراعى:

ولقد رأينا أن يكون تمرين أكثر التلاميذ فى الأقاليم على الزراعة وما يتعلق بها من الصناعات الزراعية؛ لأن الحياة فى أقاليمنا المصرية تقتضى ذلك، كما أنه ليس بها من الصناعات الأخرى ما يصح أن ينافى الزراعة أو يحل قريباً من منزلتها، وكيف وهى عماد لثروة المملكة والركن الركين لقوتها المالية.

تكون التداريب الزراعية فيما لدى وزارة الزراعة والمدارس الزراعية من حقول التداريب والبساتين، وفيما يكون منها لدى الشركات والدوائر ونحوهما من أصحاب الضياع والحدائق.

وليس من الصعب أن نحصل بوساطة مجالس المديريات والمدارس القروية ونفوذ رجال الإدارة على قطع من الأرض، تكون تابعة للمدارس الأولية، يتمرن فيها التلاميذ على مبادىء الزراعة وما يتبعها من الصناعة الزراعية، ولا يخفى أن تحقيق هـــذه الرغبة على الوجه الكامل يتوقف على مقدار فهم الناس فى الأقاليم لنتائج هذه التداريب الزراعية فى حياتهم الفلاحية، فإن ذلك يبسط أيديهم بالسخاء والجود لتلك المدارس بشىء من أراضيهم المجاورة لها، كما أنه يتوقف إلى درجة عظيمة على تعميم المجالس المحلية الفردية، وقد حادثت كبار رجال الإدارة فى هذا الصدد فعلمت أن ما أنشئ من تلك المجالس إلى الآن لا يزال قليلا، ولكنهم سيروجون هذه الفكرة فى الأقاليم ويسعون فى توفير عدد تلك المجالس بمختلف الوسائل، فإذا ما أراد الله لتلك المجالس أن تجد

فى أعماق هذا القطر سبيلها استطاعت المدارس العاملة أن تبلغ بالأمة مواطن الغنى والسعادة فى زمن قصير .

فى هذه القطعة من الأرض يتولى التلاميذ من سن الثامنة مثلا أى من بدء الدراسة العملية حفظ مافيها من الأحواض، وتعهد مافيها من أنواع النبات والأزهار، ويساعدون على حفظ نظام حجرات الدراسة وتزيينها بما يخرج من الأزهار ، ثم يتعلمون تربية الدجاج وغيرها من الطيور الداجنة، وكيف تصلح أنواعها وتكبر أجسامها فتعطى من اللحم والدهن والبيض ما يجعل الثروة متوافرة والغذاء جيدا والعيش رغدا، كما يتعلمون تربية النحل على الطرق الحديثة، حتى يزداد محصول العسل ويرخص ثمنه ويجود نوعه فيطارد عن أسواقنا القناطير المقنطرة التى يقذف بها إلى أسواقنا التجار الأجانب كل يوم، وبذلك يكون فى متناول جميع الطبقات من الأمة فلا يحرمه الفقراء والمعوزون ، كما يكون منه يوما ما مايمكن أن يصدر إلى الخارج فتزداد بذلك ثروة البلاد .

كذلك يعلمون صناعة الزبد وأنواع الجبن وليس فى بلادنا صناعة تستحق مزيد العناية مثل الجبن، فإنه على وفرة اللبن لدينا لانكاد نجد من أنواعه ذا طعم شهى ؛ ولذلك تنافسه أنواع الجبن الواردة من الممالك الأخرى ، وتكاد على ارتفاع أثمانها تحل محله فى سائر أسواق مدائننا . أما العناية بالمواشى فيجب أن يكون لها المقام الأول لأن من ألبانها وأصوافها وجلودها ولحومها وسائر أجزائها يأتى لأهل العناية بها الخير العميم والثروة الطائلة .

وفى هذه الروضة يتدرب التلاميذ كذلك على صناعة تشكيل البساتين وتربية الأزهار وأنواع النباتات المستعملة للزينة ، ويكلف كل تلميذ أن يتخذ فى فناء منزله بستانا صغيرا لايقل عن ٢٠ مترا للتمرين فيه فى أوقات فراغه .

هذا ومما تجب الإشارة إليه مراعاة جعل العطل الدراسية تابعة لأيام المواسم الزراعية فى المناطق التى تقع فيها كل مدرسة، حتى يتمكن التلاميذ من

مساعدة أهليهم ويزدادوا بذلك دربة ومرانة فى الحقول ؛ ولكيلا يظن الأهلون أن فى وجود أبنائهم فى المدارس تضييقا عليهم وفقداً لمعونتهم .

معلمو الفنون الزراعية :

إن فى ضآلة عدد الصالحين للقيام بالتعليم الزراعى فى المدارس الأولية لعقبة لا بد من محاولة نسخها، ولكن ذلك لا يكون دفعة واحدة، بل يجب اتخاذ سبيل التدرج حتى نوجد العدد الكافى للقيام بذلك فى تلك المدارس الكثيرة العدد . ولقد فكرت طويلا فى كيف يكون الحصول على هؤلاء المعلمين وبعد مخابرة رجال وزارة الزراعة وغيرها وجدت أن فى الاستطاعة أن يستخدم لهذه الغاية المتخرجون فى المدارس الزراعية على اختلاف درجاتها فى أدوار تمرينهم، بيد أن عدد هؤلاء الطلبة فى كل عام قليل جدا، إذ أنه فى هذا العام مثلا ٦٠٧ طالبا، ولما كان مثل هذا العدد لا يمكن أن يسد حاجات المئات بل الآلاف من المدارس الأولية — كان لا بد من التفكير فى حل لا يثقلنا بباهظ النفقات، وقد توفقت بحمد الله فعثرت على طريق لا يكاد يكلفنا من المال شيئا يذكر ذلك بأن يدمج فى مدارس المعلمين مسائل فى الزراعة يلقنها الطلبة فى تلك المدارس خلال السنة الدراسية، حتى إذا جاءت عطلة الصيف يوزعون على مدارس الزراعة والحقول والبساتين المعدة للتجارب القريبة من بلدانهم لتطبيق العلم على العمل والاستزادة من المعلومات الزراعية ، وتشجيعا لطلاب مدارس المعلمين أولئك - حتى يقبلوا على الدراسة الزراعية ويعنوا بها - يحسن اتباع طريقة من اثنتين : إما أن تقدر لهم مكافأة يعطونها بعد إتمام المقرر الزراعى علما وعملا صفقة واحدة، وإما أن يمنحوا علاوة على مرتباتهم لا تزيد على جنيه فى الشهر .

ويبلغ عدد الطلبة الموجودين الآن بمدارس المعلمين الأولية ٢١٥٦ والمنتظر أن يكون هذا العدد فى السنة القادمة ٣٦٧٦ طالباً .

وبهذه الطريقة يتسنى لنا على كر الزمن الحصول على العدد الكافى من المعلمين

اللازمين لهذه المدارس خصوصا إذا روعى أن كل مدرسة لاتحتاج إلى أكثر من معلم واحد للزراعة، يعلم التلاميذ فيها قبل الظهر وبعده .

وقد وجدت من المشرفين على مدارس الزراعة والبساتين والحقول المعدة للتجارب الزراعية ترحيبا بهذه الفكرة ورغبة صادقة فى تحقيقها ، وفهمت منهم أن هذا لايكاد يكلف المالية المصرية شيئا .

التعليم الصناعى :

تبين لنا بعد البحث أن تعليم الصناعة فى المدن والحواضر ميسور أكثر من تعليم الزراعة فى الأقاليم وذلك لنفوذ المحافظين والمديرين ، ولوفرة المعاهد الصناعية فيها ويسر بلوغها ، وبالطبع لايكون مقدار هذا التعليم فى المدارس الأولية إلا مقدمة للحصول على مقدار أوفر وعلم أوسع ،إذ من السهل أن يلحق تلاميذ هذه المدارس بعد أن يتموا دروسها بدور أرقى يزدادون فيها علما بفروع ماتلقوا أصوله عند الدراسة الأولية ، ولانظن أن هذه المرحلة الثانية تحتاج فى المستقبل إلا إلى قليل من المال، فإن بهذه الدور من الحاصلات مايجعلها عادة مصدرا وينبوعا لما يلزمها من النفقات .

والصناعات التى يتعلمها التلميذ فى المدن تنحصر غالبا فيما يأتى : —

الحدادة — النجارة — الدباغة — صناعة الخوص — صناعة السجاد — أنواع الحفر الخشبي وغيره — التصوير الشمسى (فتوغرافيا) — الحك (صناعة الكليشيهات) — الغزل بالمغازل اليدوية والبخارية على اختلاف أنواعها — النسج بالمناول اليدوية والبخاربة — صناعة الأحذية — تقدير الملابس على اختلاف أنواعها — الخط — النقش — الحلى المستعملة للزينة — الكهربيات المستعملة للإضاءة والتدفئة ونحوهما — الأدوات الورقية — العلم بأجزاء الدراجات والسيارات والطيارات وإصلاحها — البستانيات كتشكيل البساتين وتعهدها ودرس مايتناسب من النبات والخضر ومايختلف منها .

ومن الصناعات الرائجة ذات الربح الوفير والخير الكثير صناعة التطريز والشبيكات (الدنتلات) ونسيج المناول اليدوية للبنات، وصناعة الخوص للذكور.

وإن فى صناعة الخوص لميدانا واسعا لمن يريدون أن يمدوا الأسواق العامة بمطالبها المتنوعة، وكذلك لمن يبتغون ترقية هذه الصناعة بابتكار الأشكال والأنواع فيها، وبذلك يمكن الإصدار إلى الخارج من مصنوعات الخوص متى بلغت حد الإتقان المرجو.

وقد كتب إلى المفتشون فى المدن والأقاليم بأكثر ما فى مناطق تفتيشهم من الصناعات ودور الصناعة وها هى تلك فى الأوراق الملحقة بهذا.

وفى الختام أتقدم إلى معاليكم بكبير الثقة وبشديد الرجاء أن يكون لهذا المشروع من نصرتكم وتأييدكم مايجعل عهدكم بوزارة المعارف عهد يمن وبركة وخلاص لهذه الأمة المسكينة، ومثلكم يامولاى خليق أن يأخذ بأيديها إلى مراطن السلامة والنجاح؟

الأدب فى مصر

لحضرة الدكتور أحمد ضيف بك وكيل دار العلوم

وأستاذ الأدب بها

أدب كل أمة صورة لحياتها النفسية والسياسية والاجتماعية ومالديها من ثقافة وحضارة . ولاشك فى أن لنا ثقافة وحياة اجتماعية وعقلية تمثل عاداتنا وأخلاقنا وعقائدنا، وتظهر فى فنون الكلام وضروب التعبير وفى كل آثارنا الفنية.

ولكن هل هذه الثقافة ثقافة مصرية نشأت فى مصر ؟ وهل عقائدنا وحياتنا الاجتماعية مصرية خالصة ؟ وهل فنون الكلام البليغ والشعر الفصيح فنون مصرية حتى يقال أن لنا شعرا مصريا وكتابة مصرية وخيالا مصريا وثقافة مصرية وحتى يتبين أن هناك فرقا بين أدبنا وآداب الأمم الاسلامية الاخرى ، كما أن هناك فرقا بين الثقافة اللاتينية والجرمانية مثلا ، أو بين الأدب الإنجليزى السكسونى والأدب الفرنسى اللاتينى ؟

إذا كان لنا ثقافة خاصة وأخيلة خاصة وبلاغة خاصة ومذاهب خاصة فى الأدب والنقد كان لنا أدب مصرى خاص . ولكن ثقافتنا ليست ثقافة محلية أو ليست ثقافة مصرية خالصة بل هى ثقافة عربية إسلامية منذ فتح العرب مصر إلى ماقبيل قرن من الزمن حين اتصلنا بالثقافة الأوربية الحديثة فامتزجت الثقافتان لدى طائفة من قادة الفكر وأصحاب الرأى لدينا .

أما ثقافتنا القومية العامة فكانت - ولاتزال - عربية اسلامية لأننا تعلمنا علوم العرب وأخذنا كل شىء عن العرب الذين « عربوا عقول الأمم التى فتحوا

بلادها وغيروا معالم الحضارة القديمة فيها بقوة سلطانهم وعقولهم ونشر دينهم وتعصبهم لقوميتهم، فصبغوا عقول هذه الأمم بصبغتهم العربية الإسلامية حتى فى بلاد إسبانيا وجزر البحر المتوسط التى كانت متأثرة قليلا أو كثيرا بالثقافة اللاتينية واليونانية . ولم يكد يتأثر أدب العرب بشىء من عادات هؤلاء الناس أو بثقافتهم . فإنك تجد الأدب فى بلاد المغرب هو بعينه أدب العراق والشام ومصر وبلاد الأندلس اللهم إلا ماحدث من بعض الأخيلة الجزئية والتأنق فى الصناعة اللفظية مما لايعد أدبا جديدا ولاموضوعا جديدا ولامذهبا جديدا فى الأدب ؛ لأن موضوعات الشعر بقيت واحدة كما كانت فى بغداد وبلاد الشام وجزيرة العرب: من مدح وهجاء ونسيب إلى آخره . وإذا كان هناك اختلاف فى أساليب التفكير وأساليب الصناعة فقد كانت نزعات فردية سائرة على حسب الأهواء والميول الشخصية للأدباء والشعراء . فتجد فى العصر الواحد والبلد الواحد جملة من الشعراء والكتاب ، كل له طريقة خاصة وأسلوب خاص فى الصناعة لاغير . أما الموضوعات وطرق التفكير ومايتصل منها بالحياة العامة فكانت متشابهة كل التشابه، فقد كان يرجع بعضهم إلى بعض فى ذلك ويأخذ بعضهم عن بعض المعانى والأخيلة ويتبارون فى الصناعة لاغير . حتى فتح النقاد بابا واسعا سموه « باب السرقة » وكان الروح السائد فى الأدب العربى هو مجاراة الشعراء والكتاب للعرب الأول فى أساليبهم ، فجعلوا هؤلاء المتقدمين نموذجا لهم فى كل شىء ووضعوا قواعد النقد على مجاراتهم . حتى عابوا على المتنبى وأبى العلاء طريقة التفكير لديهما ؛ لأنهما صبغا شعرهما بصبغة غير عربية أو بصبغة فلسفية كما يقولون . وأصبح الشاعر المقدم على غيره من يجيد محاكاة الشعر القديم فى جميع نواحيه . ولم يقتصر ذلك على قطر من الأقطار بل عم جميع الأقطار الإسلامية .

ولذلك انطمست الصبغة القومية المحلية فى الأدب العربى ولاسيما الشعر،

حتى صار الأدب العربى الفصيح من حيث الصفات العامة واحدا فى كل مكان وفى كل زمان . وإذا كان هناك شيء مبتكر حدث فى أحد البلاد كالمقامات أوغيرها مما أنبتته بيئة خاصة — حاكاه الكتاب فى بلد آخر فى موضوعه وفى أسلوبه . . . . ولم يحدث شيء جديد غير معروف عند العرب سوى ما كان من القصص على أثر ترجمة كليلة ودمنة وألف ليلة وغيرها، وأكثر ذلك يحسب من الأدب العامى الملحون .

ولقد جمع الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » طائفة من الشعر والنثر الجيد فى مختلف البلدان العربية ولجماعة من فحول الشعراء والكتاب . فإذا قرأته فأنا جد عليم بأنك لاتفرق بين شعر وشعر ، ولا بين شاعر وشاعر من حيث الدلالة على الصبغة القومية أولون محلى كما يقولون .

ولاتنس أنه عندما اكتسح التتار بغداد هاجر الشعراء والأدباء إلى الأقطار الاسلامية ولا سيما مصر، ونشروا شعرهم وأدبهم، وحاكاهم الأهلون فى ذلك . فكان ذلك كله شعرا عربيا وأدبا عربيا ، لا شرقيا ولا غربيا ، ولا بغداديا ولا مصريا وأصبح هؤلاء الشعراء شعراءنا وشعراء البلدان الأخرى التى نزلوا بها . ذلك لأن الأدب العربى الفصيح فى جملته كان بعيداً قليلا أو كثيرا عن المسائل العامة القومية . أو أن المسلمين جميعا كانوا يعتبرون كل بلد إسلامى وطنا لهم ، وكل مسلم من قومهم ، ولأن المسائل الاجتماعية القومية كثيرا ما كانت بعيدة عن موضوعات الشعراء والأدباء ؛ لأن الشعر كان مدحا أو ذما أو رثاء يعبر عن حالة نفسية خاصة .

كذلك كانت الحالة العامة للأدب العربى فى جميع الأقطار الإسلامية . ومصر من بين هذه البلاد لم يكن لها أدب فصيح خاص ولا ثقافة خاصة تظهر فى الشعر أو النثر، بل كان كتابها وشعراؤها يتبارون فى محاكاة الشعر القديم والكتابة القديمة حتى الزمن القريب .

ونذكر على سبيل الاستشهاد . حفنى بك ناصف والسيد توفيق البكرى وحتى إبراهيم بك المويلحى وابنه .

وقد مدح المرحوم مصطفى المنفلوطى الشيخ محمد عبده فى نحو سنة ١٩٠٥ بقصيدة تحسب من الشعر البدوى الصميم قال فيها :—

سقاها لحيا تربها وابل القطر وإن أصبحت قفراء فى مهمه تفر

طواها البلى طى الشحيح رداءه وليس لما يطوى الجديدان من نشر

مرابض آساد ومأوى أزافم تجاور فى قيعانها الفيل بالجحر

فأنشأت أبكى فالأسى يتبع الأسى إلى أن رأيت الصخر يبكى إلى الصخر

فهل تجد فى ذلك شيئا من الصبغة المصرية . ألست تتنسم ريح الصحراء فى هذا الشعر . ولا نكاد نجد صبغة محلية فى الأدب إلا فى وصف بعض الشعراء لبعض الأماكن كوصف النيل والهرم وأبى الهول . فإذا كان هذا يعد من الشعر القومى فإن وصف الشعراء أو الكتاب للبلاد التى يطوفون ربوعها يعد شعرا قوميا محليا . وإنما يحسب وصف كاتب فرنسى لمصر أدبا فرنسيا، لأنه كتب ذلك بلغة فرنسية وعبارات ولهجة فرنسية، أما وصف الشاعر العربى العراقى مثلا لمصر فلا يعد أدبا مصريا لأنه كتبه بلغة العرب التى تحسب عباراتها واحدة فى كل زمان ومكان . فلا تظهر فيها صبغة خاصة قومية . ولا يحسب وصف الشيخ حسن العطار — المصرى الذى كان شيخا للأزهر — لربوع الشام شعرا شاميا بل هو شعر عربى .

وإنما الأدب القومى هو ما يصور النفوس والعادات لأمة من الأمم على أن يكون قائله من أهل ذلك البلد ليرسم حياته وحياة قومه الاجتماعية والسياسية . ويمتاز الأدب القومى باللهجة الخاصة القومية والعبارات الجارية على ألسنة هؤلاء الناس ، إذا كانت هذه حال الأدب العربى فى جميع البلاد الإسلامية . ومصر أحد هذه البلاد التى توطدت فيها دعائم الثقافة العربية والأدب

العربى . فليس لها أدب خاص فصيح يمتاز عن الأدب العربى فى البلاد الأخرى . وإذا كان لمصر أدب خاص أو صبغة خاصة فى الأدب فإن ذلك أظهر ما يكون فى الأدب العامى الذى انتشر فى القرن التاسع عشر ، وفى بعض كلام شعرائها وكتابها الحديثين.

***

كان الشعر فى مصر إبان القرن التاسع عشر كما كان فى جميع الأقطار العربية محاكاة للقديم وجريا على أساليب شعراء العصور المتقدمه فى الموضوعات التى عرفت : من مدح وذم ونسيب ووصف وغير ذلك . حتى لم نعد نجد من بين شعراء هذا العصر الأخير إلا من يعمد إلى رصانه الشعر القديم فيقلده وإلى أسلوبه المتين فيحاكيه وإلى الأخيلة المعروفة فيقتبس منها . وكادت تكون هذه الأساليب كل أغراض الشعراء من قول الشعر . فلم يكن الشعر أكثر من صناعة من الصناعات اللفظية ؛ لاشعوراً ولا أثراً من آثار إلهامات النفوس ولاصورة من العصر والاجتماع الذى كان يعيش فيه هؤلاء الشعراء . ولم يكن هناك وسيلة للتفرقة والتمييز بين شعراء مصر وغيرهم من الأقطار العربية الأخرى كما بينا ذلك .

وسار الشعراء عندنا على هذا المنوال بدون أن يكون لديهم أثر جديد فى الشعر، ولاصبغه مصرية اجتماعية كما كانت الحال قبل ذلك فى عصر المماليك والعصر العثمانى .

وفى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى والقرن التاسع عشر الميلادى ظهر الشيخ رفاعه الطهطاوى بعد أن عاد من البعثة التى أرسلها محمد على باشا إلى باريس، فحاول إدخال نوع جديد فى الشعر المصرى ، إذ تعلم الفرنسية ودرس آدابها، وأراد محاكاة بعض الشعراء هناك ، وكان من أول آثاره فى ذلك أن نقل قصيدة المارسيين الفرنسية إلى العربية فى شعر ، تصرف فيه بعض التصرف، حيث قال :

حيث قال :

فهيا يا بنى الأوطان هيا ‏ فوقت فخاركم لـكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا ‏ وشنوا غارة الهيجا مليا

***

عليكم بالسلام أيا أهالى ‏ ونظم صفوفكم مثل اللآلى
وخوضوا فى دماء أولى الوبال ‏ فهم أعداؤكم فى كل حال
وجودكم غدا فيكم جلياً

***

فماذا تبتغى منا الجنود ‏ وهم جمع وأخلاط عبيد
كذا أهل الخيانة والوفود ‏ كذاك ملوك بغى لم يسودوا
تعصبهم لنا لم يجد شيّا الخ . . .

وقد جرى على هذا المنوال فى إنشاء أناشيد وطنية مصرية ومدائح لحكام مصر مزجها بذكر مجد البلاد ، ومن ذلك منظومة طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٢ من الهجرة — قال فيها يمدح فيها سعيد باشا الخديو .

بشرى لمصر سعدها بالعز لاح ‏ وسعيدها بالفوز ساعده الفلاح
أبناء مصر نحن موطننا أصيل ‏ حسب عريق زانه مجد أثيل
وفخارنا فى الـكون جل عن المثيل ‏ لرحابنا تطوى المهامة بالطلاح
بشرى . . . .
نحن السراة وشأننا حب الوطن ‏ ولشأننا السامى نزاحم من قطن
شانى حمانا ليس من أهل الفطن ‏ فهو الدعى وعرضه شرعاً مباح
بشرى . . . .
وطن عزيز لايهان ولايضام ‏ وحمى تعزز من علا علياه حام
مجـــد له لازال يخترق الغمام ‏ عين السها لفخاره ذات التماح
بشرى . . . .

يا أهل مصر بر مصر فرض عين — فى البر نبذل عن رضا نفساً وعين
وإذا الرقيب رنا لها بلحاظ عين — ما عندنا فى فقئها إلا الرماح
بشرى . . . .
الخ . . . . ماقال . . . .

فكان الشيخ رفاعة من المجددين فى الشعر المصرى على هذا النمط ، وكان يمكن أن يكون لهذا الغرض الجديد من الشعر وأمثاله — مما يعبر عن الحياة المصرية من بعض وجوهها — أثر لو أن الشعراء نسجوا على منواله وساروا فى هذا الطريق الجدى القومى لرسموا لنا الاجتماع المصرى، وتركوا المدح ومايتبعه من ملق ورياء — ولكن الحركة الأدبية ، كانت حركة فردية ، كما قلنا فلم تسر الروح القومية فى نفوس الشعراء جميعا. ولكن الصيغة المصرية أخذت تدب فى نفوس الأدباء منذ أن ثارت نفس محمود سامى البارودى لأنه رسم فى شعره صوراً من الحياة النفسية المصرية لتأثره بحوادث مصر السياسية والاجتماعية، فأثارت فى نفسه التعبير عما يجول بها ، فرسم ذلك فى شعر عربى فصيح جارى فيه القدماء فى أساليبهم الرصينة ، فكانت أول خطوة فى الأدب المصرى خطاها سامى البارودى وتبعه بعد ذلك غيره وقد تأثر النثر البليغ أيضا بالاجتماع المصرى،وأخذ الأدب يتطور من أثر انتشار الروح الوطنى ومحاكاة الأمم الأوروبية فى ذلك وكان لإسماعيل باشا صبرى وأحمد بك شوقى وحافظ بك إبراهيم وغيرهم ممن جاراهم أثر فى هذه الحركة الأدبية الأخيرة وتمصير الأدب العربى قليلا أو كثيراً . ولكن أكثر ما كان الأدب المصرى ظهوراً فى تلك الحركة التى ظهرت منذ حكم إسماعيل باشا وإبان ظهور الحركة العرابية الوطنية على ألسنة بعض الكتاب والشعراء فى أزجالهم العامية ومقالاتهم النثرية العامية أيضا التى كانت تكتب فى بعض الصحف ، وقد نشر هؤلاء الكتاب مقالات عبروا فيها عن الأفكار العامة وصوروا الاجتماع المصرى ومايجول به فى

أزجال شعرية أو أحاديث نثرية ، ووضعوا ذلك فى عبارات فنية لا تقل بهجة وجمالا عن ذلك الشعر العربى الفصيح .

وقد كان هذا الأدب العامى يمثل الاجتماع المصرى تمثيلا صحيحا ويصور أخلاق المصريين . فقد كانت الحالة الاجتماعية منذ استولى محمد على على مصر فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين متأثر بأحوال سياسية بعضها كان عالقا بالنفوس من عصر المماليك ذلك العصر الاستبدادى الذى ولد فى الشعب المصرى الخضوع للحاكم خوفا من بطشه والتهكم عليه وعلى أعوانه والاستسلام للقضاء والاستهانة بأهوال الحياة وتحمل الظلم على أنه قضاء من الله والتسلى عند الآلام بالتهكم والسخرية والرضا بما ينال الإنسان فى عيشه حتى أصبحت هذه الصفات عامة فى المصريين ، وكانت أكثر ظهوراً فى سكان القاهرة الذين كانوا متصلين بالحكام وعلى كثب من أعمالهم ، وكان لتبسط بعض الحكام فى الحياة والإفاضات على العامة بالأموال أن ظهر بعض الأدباء والشعراء والمغنين فى هذا الميدان . كالشيخ على الليثى وعبده الحمولى وغيرهما حتى سرى فى البلد روح فنى أدبى ، وعلى أثر ذلك انتشر فى النفوس نوع من السرور والميل إلى التهكم والنقد الحلو والفكاهة العذبة ، فوافق ذلك الخلق المصرى فى جملته ، لأن المصرى خفيف الروح يميل إلى « التنكيت والتبكيت » فكه المجلس يمزج الهزل بالجد فى حديثه حلو المعاشرة كثير الضحك بعيد أحيانا عن النظر فى المسائل الجدية ، كثير التسامح ليس الجانب . حتى لقد يقابل كلمة السوء تصيبه من عدو يريد أن ينكل به أو صديق خبيث يريد أن يهزأ به بقهقهة (أو بنكتة بلدية) أو بفكاهة ظريفة ، ولقد يكتفى بالتهكم والسخرية لإظهار ألمه ويبتلع الكلمة المرة التى يَغَصُّ بها غيره . وربما حمله الحياء أحيانا على أن يبقى على غيره وإن اساء لأنه صفوح عن الاساءات ، به كثير من « السذاجة » الفطرية التى قد تتغلب على قوة عقله وحضور ذهنه ولباقة لسانه لأنه طيب

القلب، كريم النفس ضعيف الإرادة يحتقر نفسه أحيانا ،ومن هنا كان كثير التسامح.

كل هذا ظهر فى تلك الأزجال والأحاديث العامية التى تمثل حقيقة تلك الناحية الاجتماعية والفكرية فى مصر ، وقد انتشر ذلك على لسان الشيخ حسن الآلاتى فى أحاديث عامية كتبها فى كتابه المعروف، وعبد الله نديم، والشيخ القوصى والشيخ النجار . وقد امتلأت الصحف اليومية إذ ذاك بهذا الأدب العامى . وظهر بين ذلك أدب لم يكن معروفاً قبل ذلك العصر وهو تلك القصص التمثيلية المصرية المكتوبة بلهجة قريبة من لغة العامة ، وأول من ابتكر هذا النوع عبد الله نديم فى روايته « الوطن والعرب » كما كتب مقالاته بلغة قريبة من اللغة العامية فى صحفه مثل « مصرى تفرنج » وغيرها من هذا النوع ، وصف فيها الرذائل الفاحشة ونقد أحوال الاجتماع وغيرها.

هذا فى جملته مايسمى بالأدب المصرى إذا صح لنا إطلاق الأدب على نوع من الشعر العامى والكتابة العامية ، وقد يدخل هذا فى تاريخ الأدب القومى ، ولكنه لايدخل فى تاريخ الأدب الفصيح . ونعود فنقول إن الصبغة المصرية فى الأدب العربى ليس لها أثر ظاهر إلا فى بعض القصائد والمنشآت التى كتبت أخيراً فى أقلام البارودى وشوقى وحافظ والسيد توفيق البكرى وحفنى ناصف وإبراهيم المويلحى فى كتابه « حديث عيسى بن هشام » والآن تظهر على شبا أقلام بعض كتابنا الحديثين المعاصرين ؟

أحمد ضيف

بين الحقيقة والخيال

– ٦ –

الموسيقا فى الأدب العربى

«عرض ونقـــد»

للأستاذ عبد اللطيف المغربى

المفتش بوزارة المعارف

وفى أوبة من رحلة طويلة تستغرق بياض النهار ، جلست فى مكان من القطار فريدا ، أنفى عن النفس وحشة العزلة ، وعثاء السفر بضروب من الوسائل : فتارة أردد النظر فى كتاب ، فأروض الذهن فى شعاب من التفكير وأودية من الخيال ، وأهيم فى آفاق روحانية ندية أجدى على النفس من نغمة الطيب الذكى ، وأروح من بسمة الأمل الوضاء — وتارة أطوى الكتاب وأصبح فى عالم الذكريات ، وهو عالم ينتملك فى مثل سرعة الوهم إلى شاطىء الماضى الخضم ، فيقفك على صور غابرة من الحياة عابسة وباسمة ، تفعم نفسك بضروب من اليأس الممض أو الارتياح العميق — وحينا أسرح الطرف من نافذة القطار فى مروج خضراء ذات وهاد ونجاد ، وأشجار وأنهار ، وغياض ورياض ، وقرى ودساكر ، وظلال وارفة ، وزروع ناضرة ، وبين كل أولئك صنوف من الحيوان منثورة ، وطوائف من الناس غادية ورائحة : منهم الطروب المرح

الذى يرسل غناءه الساذج حرا طليقا فى جوف ذلك الفضاء الجميل ، فيزيده رواء على روائه ، وكأنه يشارك الطيور المتنقلة الضاربة فى كل مذهب من هذا الفضاء فى شدوها ؛ شكراً لله على ماوهب من نعمة الحياة ، وقوة الخصب ، ومنابع الخير ، وفيوض الرحمة والبركة ، والجمال الساحر ، والحسن الأخاذ فى ذلك الريف المصرى القديم — ومنهم البائس المعتر الصامت كأبى الهول ، قد خطت السنون وتتابع المحن على وجهه سطورا ناطقة بما يحمل من أعباء ثقيلة أنهكت قواه ، وذهبت ببشره وأمله ، فهو صامت مستكين ، يرمقك بعينين ساجيتين تعرف فيهما طول الصبر والأناة ، وقوة الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره .

ولقد حانت منى التفاتة عارضة والقطار مسرع فى طريقه ، فرأيت طائرا يجارى القطار فى سرعة وجهد ، فحينا يبلغ مستوى النافذة ويصفق بجناحيه على زجاجها ، وحينا ينال منه الإعياء فيتخلف ، ولكنى كنت غير آبه لما أرى ، فقد قيد سمعى وبصرى وحسى ما أنا فيه من وحدة ووحشة ، ولما أدرك القطار المحط حفل المكان برجال تلوح عليهم سمات الفضل ، وشارات الثراء والنبل ، فطفق بعضهم يتحدث إلى بعض فى كثير من الغبطة والبهجة ، وأنا صامت ممسك عن الخوض معهم فى فنون الحديث الذى يخصب ويجدب ، ويسمو ويهبط — وفى الحق أنى أنست بالقوم وعددت ذلك من الفرص المواتية أستعين بها على قضاء يومى الطويل ، فإن للوحدة معان حائرة تغمر النفس ، وتلقى عليها ظلالا من الهدوء والانقباض والاستكانة والتفكير المتتابع ، ولقاء الناس والتفرج بحديثهم مما يقشع هذه الظلال ، ويرسل النفس على صفائها ، ويعيد إليها مألوفها من مرح ونشاط .

ولقد أثار انتباهى رجل فى المجلس آثر الصمت وجعل يدير فى الحاضرين عينين براقتين ، يشع منهما نور الذكاء والفطنة ، فهبته ووقع فى نفسى الإجلال

له ، وحرت فى إنصاته للحديث وترفعه عن المضى فيه . وودت أن يخرج عن صمته فأرى قدرا من كياسته وفضله وثقافته — وطال بى الانتظار لأمره حتى تفتحت آفاق جديدة للنقاش دفعتنى إلى مجاذبة القوم أطراف الحديث . والرجل الصموت ماض فى صمته مسترسل فى تحفظه ، ولما حمى وطيس الجدل وطغا النقاش ألفيت منه تحفزا إلى دخول المعركة ، وما لبث غير قليل حتى رأيته يعالج الحديث بصوت أجش لاعهد لى به من قبل فى أناة وصدق منطق واستقامة فكر ، مما حفز القوم إلى الاحتفاء به والإقبال عليه . وتنقل الكلام حتى انتهت دورته إلى فأدليت برأى ، فما كان من الرجل إلا اعتدال فى مجلسه وتقبض للهجوم وانطلاق فى الحديث وتحامل شديد فى جرأة وصلابة . فزايلنى ما كنت أضمرت له فى نفسى من تقدير وإجلال ، وعجبت لهذه المفاجأة الطارئة التى غيرت نظام الحديث ، وأبحت لنفسى أن ألق هذا العدوان بشىء من المعارضة والزياد الحسن عن الرأى ، ولكن ذلك لم يجد نفعا فى وقف تلك الحملة الشديدة التى شنها ذلك المعارض اللسن علىّ . فزدت فى نقاشى حدة واقتحمت سياج الهيبة بيننا حتى بدت الخصومة واضحة قوية ، وانتهى الحديث إلى غايته ثم انقطع . ولذت بالصمت والصبر الجميل على ما نالنى فى هذا اليوم الذى كنت أرجو معينا عليه ، فوجدت معينا له على إرهاقى وإيلامى ، وساد المكان صمت طويل رائع لما انتهى إليه الحديث من جفوة وتقاطع . وكأن نجوى النفوس سفير بين القلوب يحثها على التزام الهدوء والسكوت . فلا سبيل إلى الألفة والوئام .

وكان القطار قد بلغ بنا محطا جديدا فكان مما رجوته أن يفارقنى هذا الرجل الذى أثار غضبى ، ولكن ارادة الله الغالبة . فينصرف الناس جميعا ويبقى الرجل .

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا مايشاء

ففزعت إلى كتابى أتعالى به ، وهذا الجليس يرمقنى من حين إلى حين بنظرة

وادعة لاأثر فيها للغضب ولا الجفوة . فرابنى من نفسى لددها فى الخصومة وتسامحه . وإسفافها إلى مستوى الغرائز الانسانية من غضب ونقمة ، وإعراض وجموح ، وتساميه عن كل أولئك وأخذه بالخلق الحسن مما يندر أن يكون منهجا لإنسان . فعدت إلى إكبار الرجل ورضت نفسى على الخطة المثلى الجامعة لخلال الخير والبر ليكون لى حظ من ذلك السمو الذى رأيته .

وماهى إلا لحظة حتى بدأ الرجل يعتذر عما فرط منه فى كثير من الأسف والخجل بصوت هادىء عذب ، ولاحت على ثغره ابتسامة مشرقة دلت على دخيلة نفسه الصافية . فذكرت أنى أعرف الصوت وصاحبه ، وكأنه علم هذا منى فرنا إلى يتحسس ماتجيش به نفسى ثم قال : إن لى من حرمة الصداقة وسالف التعارف ماهو خليق أن يطمعنى فى رضا صديقى وعطفه إذا بدرت منى بادرة كدرت صفو المودة . ولم أقصد بما لاقيتك به من تحوير لصوتى وإغراق فى نقاشى وانحراف عن طريق — سوى إرهاف حسك ، وإيقاظ فكرك . وطالما أعجبت بتفكيرك ومنطقك إذا غضبت للحق ، وصلت فى ميدان النقاش فلم أتمالك نفسى من الدهشة والطرب أن صحت « أأنت صديق العصفور ؟ » فقال : « نعم » فقلت : وماجاء بك فى مثل هذا اليوم ؟ فقال : إن لقبيلتنا رحلة إلى هذه البقاع فى زمن الحصاد ، وكنت على مقربة من القطار فلما لمحتك أحببت أن أحظى بلقائك ومبادلتك الرأى ، فقد طال شوقى إلى حديثك . فشكرت له حسن عنايته بى . وبدأنا الحوار

العصفور — أعجبنى ماقد سقته فى مقالك السابق وسررت من دحضك بعض المظالم التى لحقت بالأدب العربى ، وأود أن تزيدنى من هذا النوع فإنه طريف مفيد .

أنا : من هذه المظالم مايعاب على الأدب العربى من الموسيقا الشائعة فى نسجه ، وأن ذلك من الزخرف والصناعة التى يراد بها التأثير فى النفوس

بوسائل مصطنعة ، فالأديب العربي يؤثر في الفكر بصناعته وموسيقاه . على حين أن الأديب اليوناني واللاتيني يؤثر بوساطة الجمال الخالص والفكرة القوية المتزنة — والمراد بالموسيقا في الأدب الائتلاف والانسجام في صوغ الكلام وتأليفه على أوضاع حسنة تكسبه جرسا ورنينا في الآذان ، فيجد السامع لذلك من الخفة والروعة مايجده سامع النغم الموسيقي من النشوة والطرب .

ونحن لاننكر الموسيقا في أدبنا واحتفاءه بها والحاجة في الإغراق فيها ، والذي ننكره ونعجب منه أن تعد من عيوبه وأسباب قصوره عن غيره من الآداب العالمية — وهذا أشبه بازدرائك للجميل لأنه جمع أسباب الجمال وأن تأثيره بهذه الأسباب في النفوس منقصة له . وهذا غريب .

إن هذه اللغة مطواعة ذات خصائص ميزها الله بها على سائر اللغات ، ولقد جعلت من محاسنها تلك الأوضاع الموسيقية لتزيدها قوة على قوة في التأثير . وروح الأدب — العاطفة — التي يزيدها الإيقاع يقظة واحتفالا وقوة ، وهل كان الشعر بموازينه وقوافيه إلا ضربا من الموسيقا يراد به إلهاب العاطفة والحماسة ، كما يراد بالطبول والمزامير تتقدم الجيوش الزاحفة إلى ميادين الوغى ، إذكاء نار الحماسة فيهم ، وإثارة العاطفة إلى أقصى حدودها ، حتى تفيض بها قلوبهم فيندفعوا إلى حياض الموت باسمين .

وليست اللغات الراقية للأمم مجردة من الموسيقا فلكل لغة موسيقاها . فلم عابوا علينا ولم يعيبوا عليهم ؟ وإن كانوا قد عابوا علينا احتفالنا بالموسيقا في أدبنا فذلك لطواعية لغتنا وثروتها اللفظية ، وابتهاج أفئدتنا الشرقية بهذا الضرب من الجمال ، واللغة مقياس الذوق لكل أمة ، ومرآة تطبع عليها صور أمزجتها وأهوائها ، ولامناص لها أن تحيط بخلجات أفكارهم وترصد نزوات أذواقها وعواطفها وإلا لم يكتب لها الخلود .

العصفور : جميل منك ياصديقي أن تثير هذا البحث فإني إليه جد مرتاح

لطرافته عندى ، وأرجو أن تزيدنى بيانا توضح لى به الطريق إلى صوغ الكلام موسيقيا وتقدر لى تأثير الموسيقا فى الفكرة الأدبية قوة أو ضعفا ، فذلك الطلب لا علم لى به قبل اليوم

أنا : ليس للموسيقا فى الأدب طريق معبد مألوف إذا سلكه الكاتب أو الشاعر انتهى به إلى كلام موسيقى ضربة لازب ، فليس لها مقاييس ولا حدود تضبطها ، وإنما هى أمر وجدانى مرجعه الذوق الناضج والأذن الموسيقية النقادة .

ويعين طول المرانة والدربة الطويلة على تربية هذا الذوق الأدبى ، ويستعان على الموسيقا فى الأدب بأمور عامة تقريبية كالوزن والقافية فى الشعر ، والفواصل وتقارب الفقر فى السجع وزيادة بعض الحروف أو إبدالها بما هو أخف منها ، وقد يخالف بالكلمة أحيانا قياسها لتلائم كلمة أخرى فى الأسلوب ، ولحروف الكلمة الواحدة أوضاع خاصة من هذه الأوضاع ما يكون موسيقى التأليف والترتيب ، ومنها ما يحدث تنافرا ونبوا . وهذا الشأن تراه فى الكلمة تضمها إلى الأخرى ، فأحيانا ترى وضعا موسيقيا عاليا يأتيك عفوا عن طريق الحظ والتوفيق ، وأنت لا تعرف السبيل إلى اقتناصه ، كالصيد ترزقه وأنت على شاطىء البحر فتهش له ، وأحيانا ترى وضعا جافيا لا ترتاح إليه أذنك كأرذل ما يخرج إليك فى الصيد من البحر ، وبحسب ترتيب حروف الكلمة فى ذاتها وترتيبها مع غيرها ينشأ جمال الأسلوب أو قيمته ، ومدار الأمر فى موسيقية العبارة راجع إلى ضبط التموجات الصوتية أو تقريبها والملاءمة بينها على قدر الإمكان ، وليس لذلك قانون ولا نظام معروف ، ولا بأس هنا بإيراد كلمة للأستاذ « لاسل آبر كرمبي » فى هذا الموقف من كتابه قواعد النقد الأدبى المترجم إلى العربية ، لتلق وضحا على ما يراد من الموسيقية اللفظية وتأثيرها فى العاطفة قال : « إن الكلمات تشتمل على شيئين : معان وأصوات . والمعنى والصوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباطا لا يقبل التفرقة . ولكن كلا منهما قابل لأن ننظر فيه على حدة

وكل منهما يمكن تقسيمه إلى قسمين فمن حيث المعنى نرى أولا أن لكل جملة معناها بحسب تركيبها المنطبق على قواعد النحو والصرف وهذا هو هيكل الجملة الذى تتمثل فيه الفكرة المجردة التى يراد وصفها .

ولكن هناك ناحية أخرى لمعانى الألفاظ . ذلك أن كل كلمة ذات معنى قد يكون لها بمفردها — مستقلة عن نحو الجملة وصرفها — تأثير خاص فى الخيال يتوقف على القرائن والموضوع ، فإن معنى كلمة من الكلمات ليس بالأمر اليسير السهل . والمعنى الذى نجده فى معاجم اللغة ماهو إلا النواة التى يتجمع حولها طائفةمن المعانى الثانوية . . .

كذلك نرى أن كل كلمة إنما يعبر عنها بوساطة أصوات حروف الكلمة، ولكن من الممكن أن يكون لهذه الأصوات فوق هذا دلالتها الخاصة بها ، فأماما أولا الأصوات المقطعية الخاصة بكل حرف ساكن أومتحرك فى كل كلمة من الكلمات ، وهذه يمكن بترتيبها على طراز خاص وبتكرار بعض الأصوات أن يتألف منها ذلك النظام المسمى بالروى أو القافية . كذلك قد يراعى فى الألفاظ ناحية أدق وأخفى من هذه ، وهى أن يكون بين أصواتها وبين الموضوع ملاءمة بحيث يكون فيها تقليد للشىء الموصوف أو وحى إلى الخاطر يصعب تحديده ، ولكنه محسوس . وهذه الخاصية للكلمات ينظر فيها إلى كل كلمة على حدة وتأثير أصواتها . ولكن هناك ناحيةأخرى لتأثير الكلمات، وهى التى ينظر فيها للكلمات متتالية متعاقبة . وهذا هو مايعبر عنه بالانسجام أو موسيقا اللفظ « rythm » فهنا لا ينظر إلى الأصوات المتطعية ونوعها بل إلى تموجات الأصوات وإلى مقدارها فى عدة جمل . وهذا الاختلاف فى المقدار قد يكون راجعا إلى اختلاف فى قوة الصوت وضعفه أو فى طوله وقصره أو فى ارتفاعه وانخفاضه . والتموجات الموسيقية عبارة عن تعاقب كل هذه الاختلافات الصوتية أو بعضها بطريقة جلية واضحة .

وهذه الموسيقا اللفظية هى بلا شك أهم وسائل الانتفاع بالأصوات فى فن الأدب. لأن هذا الانسجام هو أكبر عامل فى الايحاء بذلك الجزء من العاطفة أو الشعور ».

وفى هذا الحديث ترى إشارة إلى الموسيقا فى الكلمة وفى الأسلوب، ولا تجد فيه نظاما معينا ولا مقاييس محدودة للموسيقا كما قلنا. وإنما هو كلام عام لأن الموسيقا اللفظية فى الأدب فى كل اللغات ليست مما يحد بأنظمة ومقاييس هندسية كالموسيقا الغنائية.

ويتضح من هذا الكلام أيضا أن الموسيقا أكبر عامل فى إيقاظ العاطفة والشعور.

وعندى أن الموسيقا اللفظية أكبر عون للفكرة الأدبية على الوضوح والتأثير فى الأفئدة، فهى جمال يزيدها قوة كالصورة الزيتية ذات الألوان المؤتلفة تراها فتعجب بها وترتاح إليها، ولو اقتصر فيها على الخطوط الأولى الساذجة وحرمت تلك الألوان الفاتنة ما كان لها ذلك التأثير.

ولقد يعلو الفيلسوف الانجليزى العظيم كارليل إلى أفق أسمى فى فهم الموسيقا الأدبية؛ إذ يراها فى صور مختلفة مما يحيط به، ويميل إلى أنها تقع فى جملة شريفة المعنى وهو بحث طريف من الخير أن نورده باختصار؛ ليكون فيه متعة للقارئين، وبصر بألوان جديدة فى الموسيقا الأدبية قال: « أما أنا فإنى أجد معنى جما فى التعريف القديم للشعر. وهو أنه الكلام الموزون المودع شيئا من الموسيقا حتى لهو ضرب من الغناء - وحقا لو اضطر الانسان إلى إعطاء تعريف للشعر لما كان متجاوزا ذلك التعريف القديم.

فإذا كان نظمك موسيقيا لا فى اللفظ فقط بل فى اللب والمادة، وفى جميع الأفكار والمعانى والنظام والنسق فهو شعر وإلا فلا — والمعنى الموسيقى هو: ما إذا خرج من ذهن نفذ إلى لباب الشىء وأدرك مكنون سره، أعنى النغمة

الكافية فى جوفه ، أعنى ما يستتر فى ضمير ذلك الشىء من موسيقا الائتلاف والوئام..
ولقد يمكننا القول بأن لباب كل شىء موسيقى ، أعنى إذا بدا للناس بدا فى منطق موسيقى أى بدا فى صوت الغناء . وإنى أرى معنى الغناء عويصا عميقا إذ أين ذلك الذى يستطيع أن يصف لنا تأثير الغناء باللسان ؟ ، والغناء ضرب من الكلام المستحيل النطق والمتناهى العمق الذى يذهب بنا إلى شواطىء المجهول فيتركنا ننظر برهة فى ذلك البحر . . .

ثم اذكروا أيضا أن كل كلام صادر عن انفعال فإنه يلبس بطبيعته ثوبا موسيقيا .

بل أرى كلام الغضبان صوتا من الغناء ، وهكذا كل لباب وصميم وشىء عميق فهو غناء . بل يظهر لى أن الغناء هو لبابنا الجوهرى » . ثم يقول بعد ذلك « وقد قال كولريج فى بعض كتاباته : إن كل جملة موسيقية التركيب يجرى فى أثناء لفظها حلو النغم ،فلا بد أن تكون ذات معنى جليل شريف ؛لأنه مازال أبدا بين الجسم والروح « اللفظ والمعنى » ألفة وشبه ، والشعر القديم الجيد شعر هوميروس مثلا كله غناء ، بل كل شعر حر غناء ، وإن كل شعر لا يصلح أن يتغنى به فما هو بشعر ، ولكنه قطعة نثر فصلت فى لفظ طنان ، فيه عقوق لقواعد النحو وأذى ومصاب على القراء » هذه النظرة العالية الفلسفية تسمو بقارئها إلى معان أبعد مما يتبادر إلى الذهن من الموسيقا اللفظية،وفيها نواح جديدة عميقة النظر أوحت بها إلى هذا الفيلسوف فلسفته وروحه الممتزجة بحب مظاهر الكون وأسراره ـ والذى لا نقر كولريج عليه « أن كل جملة موسيقية التركيب يجرى فى أثناء لفظها حلو النغم فلا بد أن تكون ذات معنى جليل شريف » فأحيانا نرى العبارة موسيقية ومعناها ضئيل. وقديما استحسنوا نسج الأبيات الآتية ومافيها من موسيقا لفظية ، وعدوا معناها سخيفا وهى:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

ولقد امتاز شعر البارودى بالموسيقا اللفظية القوية ، وكثير من معانيه قريب أو مسبوق إليه . وكان المعرى يقول فى شعر ابن هانىء الأندلسى « ما أشبهه إلا برحى تطحن قرونا » ومعنى هذا أن أساليبه فيها فخامة وقوة جرس موسيقية ، ولكن معانيه غير رائعة كما يرى المعرى ، وإذا كان المعرى قد أخذ على ابن هانىء ضعف معانيه وأقر له بموسيقا اللفظ فما أحرانا فى هذا الموقف أن نقر للمعرى بقوة معانيه فى شعره وضعف الموسيقا فى كثير من أقواله.

ومن مقال للشاعر الكبير بول فاليرى عضو المجمع الفرنسى، عربه الأديب عبد الرحمن صدقى « والكلام يمكن أن يكون منطقيا عامرا بالمعنى، ولكنه خلو من الايقاع خلو من الوزن ، وقد يكون عذب الورود على السمع وهو سخف ولغو ، وقد يكون واضحا وفارغا ، غامضا ولذيذا »

ويجمل بى فى هذا المقام أن أذكر لك شيئا بهذا الموضوع من مقال للأستاذ أحمد أمين ، يزعم فيه أن الأدب الجاهلى جناية على الأدب العربى ، ولا يعنينا التعرض لهذا الرأى فى جميع نواحيه فلندعه فى تطرفه وغرابته بدعا بين الآراء ، ولننقل رأى الأستاذ فيما يمس الموسيقا فى الأدب العربى، فقد قال فى توضيح الآثار السيئة التى لحقت الأدب العربى من الأدب الجاهلى فى الشكل:
« فمن ناحية الشكل قيد الشعر بقيود الوزن والقافية كما رسمها الشعر الجاهلى ، فالبحور الجاهلية هى البحور التى سار عليها الشعر العربى كله إلى الآن إلا أشياء قليلة ، وكذلك القافية ، مع أن البحور ليست إلا أوزانا ، والأوزان ليست موسيقا ، والموسيقا تختلف باختلاف العصور ، فكما أن الغناء الجاهلى لايناسبنا، فكذلك كان يجب أن تكون الأوزان والقافية مسايرة للزمن ، وأن تحكم كل أمة عربية أذنها الموسيقية فى الأوزان الشعرية التى تناسبها والتى لاتناسبها ،

سواء وافق ذلك الأوزان الجاهلية وقوافيها أو خالفها، أما أن نخضع آذاننا للأوزان الجاهلية والقافية الجاهلية فحسب، فنوع من السجن لا يليق بأمة راقية تتحرر من القيود الثقيلة، وقد جنى هذا القيد علينا جنايات كبرى تتصل بالموضوع، فالتقيد بالقافية حرمنا من الملاحم الطويلة، وحرمنا من القصص الطويلة الممتعة ؛ لأن اللغة مهما غنيت بالمترادفات لا تستطيع أن تقدم للشاعر مئات الكلمات على روى واحد وعلى حرف واحد، خصوصا بعد أن قيدوا الشاعر أيضا بألا يعيد الكلمة إلا على مسافات بعيدة ».

وقد يكون من البر بلغتنا والوفاء لها قبل البدء فى نقد هذه الفكرة أن نعمد إلى بعض العبارات فنضعها بين قوسين مثل « سواء وافق ذلك الأوزان الجاهلية وقوافيها أو خالفها » و « جنايات كبرى » و « على روى واحد وعلى حرف واحد » أما الفكرة فإنا نراها غير موفقة فى نواح كثيرة، فالموسيقا التى تجرى عليها البحور العربية لا يقدح فى حسنها وملاءمتها قدمها، فليس كل قديم غير ملائم، وبقاؤها على قدمها إلى الآن ومرور دهر طويل عليها، دليل على صلاحيتها وملاءمتها للأذواق، وإلا ما كتب لها هذا البقاء الطويل — والدعوة إلى أن تحكم كل أمة أذنها الموسيقية فى الأوزان الشعرية التى تناسبها والتى لا تناسبها، فتح لباب واسع من الفرقة والاختلاف فى الذوق، وقضاء على صلة محكمة تربط بين الآذان الشرقية العربية جميعا، فتطرب كل أمة وتهتز، وتجيش صدورها بالأمانى والأحلام العذبة، كلما شدا على دوحة العربية شاد فى آفاق الأرض بهذا الطراز من الموسيقا. وبهذا وبغيره نحفظ للوحدة العربية كيانها. وإذا أبحنا لأنفسنا أن نبدل فى موسيقا الشعر وهى مظهر من مظاهر لغتنا لأن آذاننا لها حكمها فى وقتها، فلماذا لا نبيح غدا تغيير قواعد الإعراب والتحرر منها لأن حناجرنا فى وقتها لها حكمها أيضا وهى غير حناجر العرب الذين ارتضوا هذا الإعراب ؟ إن المسألة ليست مسألة منطق وترتيب نتائج

لنقدم على هدم أمر من الأمور العظيمة ، بل علينا أن نتدبر الحقائق مجردة من زخرف المنطق ونتعرف آثارها السيئة فى رفق وهوادة فإن ذلك بنا أجمل ـ ثم ماهو المقياس الذى يراه الأستاذ للموسيقا الشعرية الجديدة ؟ ألا يرى معى أن فتح هذا الباب مدعاة إلى الخلط فى الأوزان والفوضى فيها ، فيأتى كل دعى فى الأدب بأوزان سخيفة ويتعصب لها ويناضل عنها ، فنعيش فى حرب كلامية طاحنة تفسد علينا أذواقنا ، وتقضى على بقية التراث العربى الكريم . ويقينى أن هذا لايرضى الأستاذ صاحب الدعوة ، فلندع أوزاننا كما هى ، فهى سر باح به الزمان ، فظل بقوته وخصبه صالحا لكل مكان .

أما الحملة على القافية وأنها حرمتنا الملاحم الطويلة فهذه الدعوة نصيبها من الحق كنصيب سابقتها ، فإن الملاحم لايشترط فيها اتحاد القافية ، وأقرب دليل على صلاحية العربية لها الملحمتان العظيمتان (العمرية والعلوية) اللتان صاغهما الشاعران العظيمان المرحومان حافظ وعبد المطلب ، فقد جعلا لكل غرض فيهما قافية ، وبذلك فتحا فتحا جديدا ، ومهدا سبيلا لكل من أراد الإحسان فى الملاحم ، فنحن لم نحرم الملاحم وأمثلتها بين أيدينا صارخة ، ولم تقصر قوافينا عنها — وفوق هذا فمشطور الرجز مجال واسع للملاحم وأمثالها وليس له غاية ، فقد درج شعراؤنا فى أراجيزهم الهائلة على النسج من مشطور الرجز كأبى العتاهية فى أرجوزته فى الزهد وكابن المعتز وابن عبد ربه فى أرجوزتيهما التاريخيتين وهما معروفتان .

— ٢ —

العصفور : بارك الله فيك . لقد أرضيت الحق وقمت بالنصفة فى نقدك ، وأطلعتنى على كثير معجب مما لم أكن أعلم . وأرجو أن تنال حظا من الراحة ، فقد عز علينا أن تجمع بين مشقتى السفر والبحث العلمى — ثم تقفنى على الغرض من حملات المجددين على القافية بإسهاب . فقد سمعت عن هذا الموضوع فيما مضى

كلاما يسرنى أن أرى له إيضاحا وتفصيلا .

أنا — لعلك تذكر أيها الطائر الأديب أننا أثرنا هذا البحث فى مقالنا الأول ، وقد ذكرت لك إذ ذاك إن أول من استحدث هذه الطريقة المرحوم الشاعر جميل صدقى الزهاوى . وأسمعتك شيئا من شعره على هذه الطريقة . وقد قويت الدعوة إلى هذا المذهب بعد ذلك ، ومال إليه المجددون ، ودعا إليه المجددون : إما فى قوة وصراحة ، وإما فى إيماء وتحفظ — وقام معارضون لهؤلاء الداعين ، فثار الجدل حول هذه الفكرة ولا تزال حجج الداعين إليها غير قوية ، على الرغم مما عرضوه على الناس من صور لهذا الرأى ، وتدور أدلتهم حول ضيق الشعر العربى بالتزام القافية وقصوره عن تصوير المعانى وصوغ الملاحم والقصص وقد تقدم فى هذا المقام دفع ماقالوا .

وقد صاغ الزهاوى أول قصيدة من هذا الطراز فى مستهل القرن العشرين ونشرتها له صحيفة المؤيد غير القصيدة التى سمعت بعض أبياتها وعرض بعض الكتاب قطعا من هذا النوع . منها قطعة مترجمة فى صورة نثرية مرة وصورة من الشعر المرسل مرة أخرى ، وهى من شعر شكسبير زعيم هذا الطراز من الشعر فى رواية عطيل . ولا بأس بأن أذكر لك قليلا من هذه القطعة فى حالتيها النثرية والشعرية

النثر

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة — ياسيدى العزيز — أثمن جوهرة من حلى النفس . من يسرق كيس نقودى يسرق شيئا زريا كان لى وأصبح له ، وكان قبلنا لألوف آخرين . أما الذى يسرق حسن سمعتى فيختلس شيئا لا يغنيه ويجعلنى فقيرا جهد الفقر . . .

الشعر المرسل

ياجو: شرف الانسان أغلى سيدى
من سواد القلب هذا يستوى
فيه من كانوا ذكورا أو إناثا
إنما من يسرق مالى إنما
نال منى تافها غير خطير
إنما المال متاع هين
فلقد كان معى ثم مضى
ليديه بعد حين مثلما
كان قبل الآن عبد الألوف
إنما سالب عرضى نال ما
ليس يغنيه وقد أفقرنى

ولست أرى تعليلا عن صوغ هذه القطعة بهذه الطريقة من الشعر البادى لك فى ضعفه وهزاله. وقد ذكر معنى هذه القطعة قول شاعرنا العربى حسان ابن ثابت رضى الله عنه :

أصون عرضى بمالى لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه ولست للعرض أن أودى بمحتال

وعرض أيضا الأستاذ الكاتب قطعة أخرى ترجمة فى صورة نثرية وصورة شعر مرسل لقصة من وضع شكسبير تمثيل رثاء انطونيوس لقيصر، فلا داعى إلى إيراد شىء منها اكتفاء بما تقدم.

وظهرت كاتبة متحمسة لهذا المذهب من الشعر تدعو إليه في صدق وقوة وعزيمة، ونضرب صفحا عن نقاشها فلا سبيل إلى اقناعها كما يتبين من بعض أقوالها التى نعرضها عليك، لتعرف الحكمة فى العدول عن معارضتها، ومقدار

ماترمى إليه من تجديد فى الشعر . قالت:

« والغريب أنه بينما نتناقش فى الشعر المرسل يتناقش الأدباء الإمريكيون فى الشعر الحديث الذى لاوزن له ولا قافية — ليطمئن قرائى فسيفنى عمرى فى الدعوة إلى الشعر المرسل . فهل يتيسر لى أن أدعو إلى هذا الشعر الحديث الذى لاأستسيغه الآن ؟ ولكنى لاأعرف، فقدأستسيغه غدا » وقدأبدت هذه الكاتبة دعوتها بنسج قصيدة لها على هذا النوع من الشعر عنوانها « ذوالفأس » ومن يدرى لعلها تدعو إلى شعر لاوزن له أيضا ، لأنها قد تستسيغ ذلك غدا كما تقول . ولنذكر من قصيدتها قولها فى المطلع :

متكئا على الفأس فى انكسار منحنى الظهر من الهموم
ينظر فى الأرض بلا انتهاء فليس نحوها إلا المصير

وقولها فى النهاية :

ياسادة العبيد والأراضى كيف لقاء الرب يوم الدين
يوم مسوله أمام الله بعد سكون الساعى والسنين

ونحن نضن أن نعرض لهذه القصيدة بوصف فليست تستحق شيئا من العناية . وبذلك تعلم ياصديقى العصفور نشأة فكرة الشعر المرسل وتدرجها فى ظل الزمان ، فصاحبها الزهاوى ،وكل من كتب بعده داعيا إليها تبع له.

العصفور — لقد وضح الحق واستقامت الحجة ، وإذا كنت قد علمت صاحب هذه الدعوة وموقف الداعين بعده منه — فقد علمت شيئا جديدا أيضا خلص إلى من ثنايا الكلام : وهو أن هذه الدعوة وليدة المحاكاة للأدب الغربى ، فإن المجددين لما وجدوا شعرا مرسلا لشكسبير وغيره من الشعراء الغربيين ، أرادوا إحداث مثله فى العربية . وقد لمحت من حديثك أنهم يجدون للأدباء الإمريكيين شعرا غير موزون كما يقولون . وأرى أن الدعوة إلى هذه البدعة الحديثة ستجد لها أنصارا بين المجددين وحينئذ تقع الفوضى فى الأدب العربى لاقدر الله !!

والآن ياصديقى أرجو أن تسمعنى فى ختام هذا البحث الطريف ، شيئا من النثر والنظم يمثل إلى الموسيقا فى الأدب العربى ، فأكون لك من الشاكرين

أنا — يسرنى أن أجيب صديقى إلى ماطلب وإنى لسائق إليه من ذلك مايرضيه . فمن ذلك قول الشريف الرضى وقد حلق شعره بمنى فرأى فيه شيبا ، وموسيقاه قوية رنانة . استمع إليه إذ يقول :

لا يبعدن الله برد شبيبة — ألقيته بمنى ورحت سليبا
شعر صحبت به الشباب غرانقا — والعيش مخضر الجناب رطيبا
بعد الثلاثين انقراض شبيبة — عجبا أميم لقد رأيت عجيبا
فاليوم أطلب الهوى متكلفا — حصرا وألقى الغانيات مريبا
إما بكيت على الشباب فإنه — قد كان عهدى بالشباب قريبا
لو كان يرجع ميت بتفجع — وجوى شققت على الشباب جيوبا
ولئن حننت إلى منى من بعدها — فلقد دفنت بها الغداة حبيبا

ومن هذا النوع من قول البارودى فى حرب كريد

أخذ الكرى بمعاقد الأجفان — وهفا السرى بأعنة الفرسان
والليل منشور الذوائب ضارب — فوق المتالع والربا بجران
لاتستبين العين فى ظلمائه — إلا اشتعال أسنة المران
نسرى به ما بين لجة فتنة — تسمو غواربها على الطوفان
فى كل مرباة وكل ثنية — تهدار سامرة وعزف قيان
تستن عادية ويصهل أجرد — وتصيح أجراس ويهتف عان

ويغلب أن يكون هذا النوع القوى الجرس من الموسيقا فى البحور الكامل والوافر والمتقارب ، ومن الموسيقا الهادئة الوادعة المتزنة قول الوزير ابن الزيات يرثى زوجه وحال ابنه الصغير بعدها:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه — بعيد الكرى عيناه تنسكبان

رأى كل أم وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليـــل ينتجيان

وبات وحيدا فى الفراش تجنه ... بلابل قلب دائم الخفقان

فلا تلحيانى إن بكيت فإنما ... أداوى بهذا الدمع ما تريان

فهبنى عزمت الصبر عنها لأننى ... جليد فمن بالصبر لابن ثمان؟

ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة ... ولا يأتسى بالناس فى الحدثان

فلم أر كالأقدار كيف تصيبنى ... ولا مثل هذا الدهر كيف رمانى

أعينى إن لم تسعد اليوم عبرتى ... فبئس إذاً مافى غد تعـــدان

ويغلب أن يكون هذا النوع الهادىء الوقور المؤثر فى البحر الطويل، ومن الموسيقا الفاترة قول أبى العلاء المعرى:

يغيبنى فى الترب من هو كاره ... إذا لم يغيبنى كريه الروائح

ومن يتوقى أن يجاور أعظما ... كأعظم تلك الهالكات الطرائح

ومن شر أخلاق الأنيس وفعلهم ... خوار النواعى والتدام النوائح

وأصفح عن ذنب الصديق وغيره ... لسكناى بيت الحق بين الصفائح

وعندى أن سبب فتور الموسيقا قلة العناية باختيار الكلمات العذبة ذات الجرس الحسن، فجاء الأسلوب عابسا، تموجاته الصوتية غير مؤتلفة ولا منسجمة كما ينبغى ، ولنفس الشاعر وخفتها وظرفها فى اقتباس المعانى والألفاظ ، أثر كبير فى تصوير الموسيقا؛ وفرق بين ابن الزيات الوزير المرح الظريف الذى تقلب فى بيئة الكتاب وظرفهم والوزراء وترفهم ، وبين أبى العلاء المعرى العالم رهين المحبسين وصاحب النفس المنقبضة المتبرمة بكل مايحيط بها ، ولهذا كله وقعت الفرقة بين القطعتين مع أنهما من بحر واحد.

وأسمعك من النثر قطعتين إحداهما أقرب إلى الفطرة والثانية غارقة فى الصناعة ، وكلاهما يفيض عذوبة وموسيقا : فالأولى من خطبة لداود بن على ابن عبد الله بن العباس حيث يقول :

«أيها الناس : الآن أقشعت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه ، وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى منزعه ، ورجع الحق إلى نصابه : فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم .

أيها الناس : إنا والله ماخرجنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا ، ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ، والغضب لبنى عمنا وما كرثنا من أموركم وبهظنا من شؤونكم . . . »

والثانية لزعيم كتاب الصناعة الأستاذ ابن العميد فى خطاب خارج على الدولة يهدده حينا ويتألفه حينا ، فأنصت إليه تر العجب من أسلوبه الرائع حيث يقول :

« لاجرم أنى وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك ، أقدم رجلا لصدمك وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستيفائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضنا بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء . . . . »

العصفور : إن سرورى هذا اليوم لعظيم بما أهديت إلىّ من ألوان الحديث الموفق فجزاك الله عنى خير الجزاء ، وإنى لمستودعك الله وعائد إلى أهلى وخلانى وأنا موقر بالطرف القيمة . وكنا إذ ذاك فى وقت الأصيل والليلة المقبلة من الليالى القمرية ، فما هى إلا لمحة البصر حتى اضطرب اضطرابة سريعة ، وقفز من نافذة القطار تاركا وراءه صدى للحن جميل قرت عذوبته فى أذنى وقتا طويلا .

عبد اللطيف المغربى

الاتبــــــاع

للأستاذ مهدى أحمد خليل

قال أبو البقاء فى الكليات : الإتباع أن تُـتْـبِـعَ الكلمةَ الكلمةَ على وزنها أو رويها إشباعا وتوكيدا حيث لا يكون الثانى مستعملا بانفراده فى كلامهم ، وذلك يكون على وجهين: أحدهما أن يكون للثانى معنى كما فى هنيئا مريئا، فيؤتى به للتوكيد لأن لفظه مخالف للأول؛ والثانى ألا يكون له معنى بل ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظا وتقويته معنى، نحو حَسَن بَسَن، وهو لا يكاد يوجد بالواو.

وقال الثعالبي فى فقه اللغة : الإتباع من سنن العرب فى كلامهم ، وذلك أن تُـتَـبِـعَ الكلمةَ الكلمةَ على وزنها أو رويها إشباعا وتوكيدا اتساعا ، كقولهم: جائع نائع، وساغِب لاغب، وعطشان نَطْشان، وخَبٌّ ضَبٌّ، وخراب يَبَاب.

وبعضهم اختار جواز العطف فى الإتباع. وبعضهم منعه كما قال ابن فارس فى فقه اللغة نحو حَيَّاكَ الله وبَيَّاك ومعنى بياك أضحكك.

وفى الإتباع إذا كان الثانى بمعنى الأول كان للتأكيد ، وإنما يكون اللفظ مقضيا عليه بالإتباع إذا لم يستعمل فى كلامهم منفردا عن الأول ، كقولهم: عطشان نطشان، فنطشان لم يفصل عن عطشان، ولذا قيل فى نحو هذا إتباع؛ لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده أو كان لا يستعمل بهذا الوزن إلا مع غيره كما فى هَنأنى (١) الطعام ومَرَأنى (٢) فإنهم إذا أفردوا الثانى قالوا: أمرأنى (٣) . ويشبه هذا قولهم آتيه بالغدايا والعشايا إذا قرنوا بينهما ، فإذا أفردوا الغدايا ردوها إلى

---

(١) لم يحدث لى منه تعب ولا مشقة (٢) لم يثقل على معدتى وانحدر عنها طيبا

(٣) فى اللسان والتاج يقال: مرأنى الطعام وأمرأنى (بلا اشتراط ازدواج لأنهما لغتان ، وعلى اللغة الأولى ليس فى الكلام إتباع)

أصلها وقالوا الغُدوات[١] . ومن الخبر المشهور : خيرُ المالِ مُهْرَةٌ مَأمُورة وسِكّةٌ مَأبُورة (السِّكّةُ الطريقة المصطفة من النخل. والمأبورة المُلَقّحةُ. وقيل السِّكّةُ سِكّةُ الحرْث،والمأبورة المصلحة له،أراد خير المال نِتَاج أو زرع) . وظاهر كلام ابن عصفور فى شرح الجمل أن التابع نعت حيث عده من قبيل ما يُنْعَتُ به ولا ينعت. ثم قال : إن الإتباع ليس بقياس.وتبعه فى ذلك السيوطى فى الهمع حيث قال: ومِنَ النعتِ مالا يقع إلا تابعا كالاسم الثانى من قولهم حسن بسن ، وشيطان ليطان . وبعضهم قال : إن الإتباع قسم من التوكيد ، لأن التابع تركيد للمتبوع غير مبين معنى بنفسه كأكتع وأبصع مع أجمع ، وقيل:إنهما مختلفان؛ والإتباع مالم يحسن فيه واو نحو حسن بسن.والتوكيد تحسن فيه الواو نحو حِلّ وبِلّ . وقال بعضهم:الإتباع داخل فى التوكيد بالتكرار عند الأكثرين لأنه لم يغير من الكلمة إلا حرف[٢] وقال ابن خالويه : ليس فى كلام العرب إتباع بخمس كلمات إلا فى كلمة واحدة مال كثير بثير بجير بذير عمير مرير، فأما الثلاث والاثنان فكثير (سيأتى أنها ست) نحو حَسَن بَسَن قَسَن وحارٌّ يارٌّ جارٌّ .

قيل لأعرابى:ماتريدون بقولكم فلان كَذَا لِزْ؟فقال حرف نَشِدُ به كلامنا (نؤكده به)

قال الخفاجى فى شرح درة الغواص : الإتباع على قسمين : مالا معنى له أصلا غير التقوية كحَسَن بَسَن،وماله معنى ظاهر كقسيم وسيم : أو غير ظاهر كشيطان ليطان ؛ أى لاصق بالشر، وهو كما قال ابن فارس : إما معرب بإعرابه كحسن بسن،أو مركب معه كحَيْصَ بَيْصَ، فإنه إتباع، وقد يكون بأكثر من لفظ . وفى غير الأسماء نحو لا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك،

---

(١) فى اللسان والتاج : يقال غدوة وغدية (ومادام قد سمع فى مفرده غدية كان جمعه على غدايا قياسيا من غير احتياج إلى الازدواج) (٢) هذا فى الغالب ومن غير الغالب : هنأنى الطعام ومرأنى

قال ابن الدهان فى الغرة: وهو عند الأكثرين قسم من التوكيد، وبعضهم جعله قسما من التوابع على حدة لجريانه على المعرفة والنكرة. وإذا كان توكيدا يحتمل أن يكون معنويا ولفظيا على أنه أبدل منه حرف لدفع صورة التكرار كما أشار إليه الرضى.

وفى البلغة فى أصول اللغة: وإنما سمى إتباعا لأن الكلمة الثانية إنما هى تابعة للأولى على وجه التوكيد لها وليس يتكلم بالثانية منفردة، فلهذا قيل إتباع، وظن بعض الناس أن التابع من قبيل المترادف لشبهه به والحق الفرق بينهما فإنهما يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت والتابع لايفيد وحده شيئا. بل شرطُ كونه مفيدا تقدم الأول عليه. كذا قال الرازى. وقال الآمدى: التابع لايفيد معنى أصلا. وقال السبكى: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية، فإن العرب لاتضعه سُدى، والفرق بينه وبين التوكيد أن التوكيد يفيد مع التقوية نفى احتمال المجاز. وأيضا التابع من شرطه أن يكون على وزن[1] المتبوع، والتأكيد لايكون كذلك. وقال القالى: الإتباع على ضربين: ضرب فيه الثانى بمعنى الأول فيؤتى به توكيدا لأن لفظه مخالف الأول، وضرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول، فمن الأول قولهم قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى الجميل، وضَئيل بَئيل، وهما بمعنى وشيطان وليطان.

ومثل هذا فى المزهر.

وفى الأشباه والنظائر للسيوطى: الاتباع أنواع: فمنه إتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة بعدها، كقراءة من قرأ الحمدِ لِله بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام. وإتباع حركة أول الكلمة لحركة آخر الكلمة قبلها، كقراءة من قرأ الحمدُ لُله بضم اللام إتباعا لحركة الدال.

وإتباع الحرف الذى قبل آخر الاسم المعرب لحركة الإعراب فى آخره

(١) ومن الشاذ رَغْما دَغْما شِنَّغْما كما سيجىء فى الأمثلة.

وذلك فى امْرِىء (١) وابْنِم (٢) فإن الراءَ والنونَ يتبعان الهمزةَ والميمَ فى حركتهما نحو إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ . مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ . لِكُلِّ امْرِىءٍ منهم...وكذلك ابْنُم ولاثالث لهما فى إتباع العينِ اللامَ.

وإتباع حركة الفاءِ اللامَ وذلك فى مَرْء وفَم فان الميمَ والفاءَ يتبعان حركةَ الهمزةِ والميمِ فى بعض اللغات فيقال هذا مُرْؤ (٣) وفُم (٤) ورأيت

(١) فى إعراب امْرِىء ثلاث لغات .

ا — إعرابه من مكانين تقول:هذا امْرُؤ ورأيت امْرأ ونظرت إلى امْرِىء

ب — فتح الراء فى أحواله الثلاثة تقول هذا امْرَأ ورأيت امْرَأ ونظرت إلى امْرَأ .

حـ — ضم الراء فى أحواله الثلاثة تقول:هذا امْرُؤ ورأيت امْرُؤا ونظرت إلى امْرُىء.

(٢) هو ابن زيدت فيه الميم كما زيدت فى دِلْقم من قولهم امْرأة دِلْقم أى هَرِمة . وفى زُرْقُم والزرقم شديد الزَّرَقِ،اللون المعروف.وفى شَدْقَم وهو واسع الفم ، وفى فُسْحُم وهو واسع الصدر — وفى إعرابه لغتان :

ا — إعرابه من مكانين يقال هذا ابْنُمُكَ ورأيت ابْنَمَكَ ونظرت إلى ابْنِمِكَ .

ب — إعرابه من مكان واحـــد وهو الميم لأنها صارت آخر الاسم ، وتبقى النون مفتوحة فى جميع الأحوال .

(٣) المرء الإنسان وفى إعرابه لغتان :

ا — فتح الميم فى أحواله الثلاثة تقول: هذا مَرْء ورأيت مَرْءا ونظرت إلى مَرْء .

ب — إعرابه من مكانين تقول هذا مُرْء ورأيت مَرْءا ونظرت إلى مِرْءٍ .

(٤) فى إعراب فَم أربع لغات :

ا — فتح الفاء فى أحواله الثلاثة تقول هذا فَم ورأيت فَما ونظرت إلى فَم =

مَرْءًا وَفَمًا ونظرت إلى مرْءٍ وفمٍ ولا ثالث لهما.

وإتباع حركة اللام للفاء فى البناء على الضم فى مُنْذُ فان الذال ضُمت إتباعا لحركة الميم ولم يعتد بالنون حاجزا، ونظيرها فى ذلك بناء بَلْهَ على الفتح إتباعا لفتحة الباء ولم يعتد باللام حاجزا لسكونها، وقول الشاعر:

عَجِبْتُ لمولود وليس لَهُ أبٌ وذِى وَلَد لم يَلْدَهُ أبوان

فتح الدال فى يَلْدَهُ إتباعا لفتحة الياء عند سكون اللام. وإتباع حركة الميم لحركة التاء، والخاء والغين، فى قولهم مِنْتِن ومِنْخِر ومِغِيرة، ومنهم من يقول: مُنْتُن بضم التاء إتباعا لضمة الميم. ومنه إتباع حركة فاء الكلمة لحركة فاء أخرى لكونها قرنت معها؛ يقولون: ماسمعت له جَرْسا أى صوتا إذا أفردوا، فإذا قالوا ماسمعت له حسًّا ولا جِرْسا (١) كسروا الجيم على الإتباع، ومنه سكون عين كلمة لسكون عين أخرى أو حركتها لحركتها يقولون: رِجْس (٢) نِجْس فإذا أفردوا قالوا نَجِس (٣).

ومن إتباع الكلمة فى التنوين لكلمة أخرى منونة صحبتها كقوله تعالى: وجِئْتُكَ من سَبَأ (٤) بِنَبأ يقين. إِنَّا أَعْتَدْنَا للكافرينَ سَلاَسِلا

ب — ضم الفاء فى أحواله الثلاثة تقول: هذا فُم ورأيت فُمًا ونظرت إلى فُم.

حـ — كسر الفاء فى أحواله الثلاثة تقول هذا فِم ورأيت فِمًا ونظرت إلى فِم.

ء — إعرابه من مكانين تقول هذا فُم ورأيت فَمًا ونظرت إلى فِم. وأصل الفم الفوه بدليل قولهم: أفْوَهُ أى عظيم الفم ومُفَوَّه أى يجيد الكلام.

(١) فى اللسان الجَرْسُ والجِرْس والجَرَس الصوت وعلى هذا فليس فيه إتباع.

(٢) الرِّجس القَذَرُ أو الشىء القَذِر.

(٣) النَّجَسُ القذِرُ غير النظيف.

(٤) اسم يجمع عامة قبائل اليمن، ممنوع من الصرف، وقيل اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس، وقيل هى مدينة مَأرِب.

وأغلالا وسعيرا . فى قراءة من نوّن الجميع،وحديث«أنفق بلالا (١) ولا تخش من ذى العرش إقلالا» . ومنه إتباع كلمة لأخرى فى فك ما استحق الإدغام كقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث لنسائه «ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوءب» (٢) . وإنما الأدب فأظهر التضعيف وأراد الأدبّ وهو الكثير الوبر ليوازن بين الحوءب .

ومنه إتباع كلمة فى إبدال الواو فيها همزة لهمزة فى أخرى كقول النبي صلى الله عليه وسلم فى نهى النساء عن زيارة القبور (٣) «ارجعن مأزورات غير مأجورات» والأصل موزورات من الوزر وهو الاثم والذنب ، وإنما همز ليشا كل مأجورات من الأجر .

ومنه إتباع كلمة فى إبدال واوها ياء لياء فى أخرى كحديث (٤) لادريت ولاتليت والأصل تلوت من التلاوه . ومنه إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث كحديث «اللهمّ ربّ السموات السبع وما أظللن وربّ الأرضين وما أقللن

---

(١) بلال بن رباح المؤذن ممن سبقوا إلى الإسلام ، مات على الصحيح بدمشق سنة ٢٠ .

(٢) منزل بين البصرة ومكة وهو الذى نزلت به عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها لما جاءت الى البصرة فى وقعة الجمل،وقيل موضع بئر نبحت كلابهُ أمّ المؤمنين مقبلها من البصرة .

(٣) هذا الحديث منسوخ لأن الرسول أذن فيها بعد .

(٤) فى الحديث فى عذاب القبر أن المنافق إذا وضع فى قبره سُئل عن محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به فيقول لاأدرى، فيقال:لادريت ولاتليت ولااهتديت قيل فى معنى قوله ولاتليت، ولاتلوت:أى لاقرأت ولادريت وقال:تليت ليعاقب بها الياء فى دريت ، وقيل:إنما هو أتليت ، وقيل:اتّليت أى أطقت واستطعت وقيل الصواب:ائتليت .

وربِّ الشياطين وما أَضْلَلْنَ» الأصل أضلّوا بضمير المذكر، لأن الشياطين من مذكر من يعقل، وإنما أنت إتباعا لأظللن وأقللن. ومن إتباع اليزيد الوليد فى إدخال أل عليه فى قول الشاعر :

رأيتُ الوليد بن اليزيد مُباركا   شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه

ومن الإتباع قراءةُ أبى جعفر للملائكةُ اُسْجُدُوا بضم التاء للإتباع .

مهدى أحمد خليل

تحقيق وتمحيص

للأستاذ عبد العظيم قناوى



٣

عرضت فى مقال سابق مثلين من أمثلة كثيرة ينتظمها التاريخ الدينى ، ولو بترت منه أمثال هذه الأخبار لسلم مما يصلح أن يتخذ مادة لتشويه أخباره ، وتزييف آثاره ، وختمت المقال بدعوة الرجال الغير — وهم بفضل الله كثر — إلى تحقيق مايعتوره شك أو ماتكون فيه مظنة مبالغة ، أو مالا يتقبله العقل فقلت: « والآن ألم يأن أن نتبين نحن رجال الدين واللغة بعد هذا التحليل أن كتب السيرة جديرة بالتهذيب والصقل ، أو على اليسير الأدنى بالتعليق والتنقيح ؛ حتى ننفى اللبس عن كل مايمت إلى هذا الدين القويم بسبب قريب أو بعيد ؟ » .

والحمد لله أن جاء بعض ما يختلج به صدرى متفقا مع مايرمى إليه كبار رجال المعارف فهاهم أولاء يدعون إلى تهذيب طائفة من كتب الأدب ، ولعلهم يوسعون دائرة التشذيب والتهذيب فتضم إلى كتب الأدب كتب السيرة والتاريخ . فيخدمون حينئذ العلم فى شتى فروعه ومناحيه .

وفى هذا المقال أعرض مثلين أدبيين رواهما وأمثالها كثير من كتب الأدب العظيمة، وفيهما من الغرائب مايحمل على اتهام رواتهما بحب المبالغة أو بالرغبة فى جعل الأدب معينا للقصة ، أو بهما معا .

صاحب المثل الأول عالم لغوى وأديب راوية، ومخبر ثقة هو أبو سعيد أحمد بن أبى خالد الضرير، ويكفى لبيان منزلته العلمية ذكر حديث عنه قال: كنت أعرض على ابن الأعرابى [1] أصول الشعر أصلا أصلا، وعرض عليه — وأنا أحضر — شعر الكميت فحفظته بعرضه، وحفظت النكت التى أفاد فيها، فقال لى ابن الأعرابى يوما: لم تعرض على فيما عرضت شعر الكميت. فقلت له: عرضه عليك فلان فحفظته بعرضه، وحفظت ما أفدت فيه من الفوائد والنكت والمعانى، وجعلت أنشده وأعرفه من تلك النكت، فعجب.

ذلك مبلغ علم الرجل ومقدار إحاطته بديوان العرب، فلا غرو أن ينسب إليه ما ليس له، وليس غريبا أن يدعى عليه ما لم يقل تعزيزا لرأى أو تثبيتا لحجة، ولكن العجيب البعيد أن يسفه رأيه، ويخطأ حكمه؛ ليكون هذا دليلا على أن صاحب الرأى الثانى إبليس جاء فى زى مجنون معروف لجميع أهل نيسابور. كأن إبليس قد فرغ من الإغواء والاضلال، فجاء يكفر عن تزيينه للناس حب الشهوات بإرشادهم فى اللغة وتوجيه معانى الأبيات، فلله هؤلاء الرواة الثقات أنى يؤفكون!

روى معجم الأدباء فى ترجمة أحمد بن أبى خالد الضرير ما يأتى:

حدثنى وهب بن إبرهيم قال: كنا يوما بنيسابور فى مجلس أبى سعيد المكفوف... إذ هجم علينا مجنون من أهل «قم» فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب الناس لسقطته، ووثب أبو سعيد لا يشك أن آفة لحقتنا من سقوط جدار أو شرود بهيمة، فلما رآه المجنون على تلك الحال قال: الحمد لله رب العالمين. على رسلك ياشيخ لا ترع آذانى هؤلاء الصبيان وأخرجونى عن طبعى إلى ما لا أستحسنه من غيرى، فقال أبو سعيد: امتنعوا عنه عافاكم

(١) ابن الاعرابى: هو أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفى. عالم ثقة راوية للأشعار خبير بالانساب كان كثير التخطئة لعلماء عصره، فاستظهر عليهم.

الله ، فوثبنا وشردنا من مكان ورجعنا ، فسكت ساعة لايتكلم إلى أن عدنا إلى ما كنا فيه من المذاكرة ، وابتدأ بعضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن جرير التميمى حتى بلغ قوله :

غلامان خاضا الموت من كل جانب فآبا ولم تعقد وراءهما يد
متى يلقيا قرنا فلا بد أنه سيلقاه مكروه من الموت أسود

فما استتم هذا البيت حتى قال المجنون : قف أيها القارىء تتجاوز المعنى ولا تسأل عنه ما معنى قوله « ولم يعقد وراءهما يد » ؟ فأمسك من حضر عن القول ، فقال قل ياشيخ فإنك المنظور إليه والمقتدى به ، فقال أبو سعيد: يقول إنهما رميا بأنفسهما فى الحرب أقصى مراميها . ورجعا موفورين لم يؤسرا فتعقد أيديهما كتفا . فقال ياشيخ : أترضى لنفسك بهذا الجواب ؟ فأنكرنا ذلك على المجنون ، فنظر بعضنا إلى بعض ، فقال أبو سعيد هذا الذى عندنا فما عندك ؟ فقال : المعنى ياشيخ آبا ولم تعقد يد بمثل فعلهما بعدهما لأنهما فعلا مالم يفعله أحد كما قال الشاعر :

قوم إذا عدت تميم معا ساداتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثياب الندى فلم تطل عنه ولم تقصر

أى خلقت له ، وقريب من الأول قوله :

قومى بنى مذحج من خير الأمم لايضعون قدما على قدم

بمعنى أنهم يتقدمون الناس ، ولا يطئون على عقب أحد ، وهذان فعلا مالم يفعله أحد ، فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمر وجهه واستحيا من أصحابه ، ثم غطى المجنون رأسه وخرج وهو يقول : يتصدرون ويغرون الناس من أنفسهم فقال أبو سعيد بعد خروجه : اطلبوه فإنى أظنه إبليس فطلبناه فلم نظفر به »

هذا حديث يرويه كتاب من أمهات كتب الأدب شديدُ الاضطراب ظاهر الاختلاق بادى الوضع يكتنفه الريب من كل شق فيه .

فأولا : تلاميذ أبي سعيد يعرفون المجنون معرفة وثيقة ويعرفون بلده ، لأنهم يتعقبونه ويحصبونه شأن الأطفال مع ضعاف العقول ، وهذا ظاهر من شكواه منهم ، والمجانين لا يكونون علماء باللغة ملمين بمواقع الكلام ، وأحر بهم وقد عرفوه أن يطردوه ، أو يسخروا منه ، ويهزءوا به .

ثانيا : لو أنه كان إبليس حقا لحمد نفسه قبل أن يحمد ربه : لأنه نال من الصبيان كما نالوا منه ، إذ رعبهم كما رعبوه ، وأفزعهم كما أفزعوه عندما يرونه متمثلا بالمجانين .

ثالثا : كيف أخرجوه عن طبعه ؟ هل حملوه على أن يعقل ؟ أو أنها جملة قذف بها فى ثنايا الحديث قذفا دون أن يكون لها فى نفسه مأرب يقصده من إلقائها .

رابعا : لا أنكر أن المعنى الثانى أكثر وضوحا من المعنى الأول ولكن (الشرح اجتهاد) فكيف لم يدافع أبو سعيد عن رأيه كما عزز المجنون رأيه ؟ لاسيما أن الأبيات التى أوردها فى استدلاله على تفضيل تفسيره لا تتصل بالموضوع اتصالا قويا ، وما كان لعالم حجة ثقة كأبى سعيد أن يستخذى أمام « مجنون » ولا يحير قولا يقيم به حجته ، ويصوب رميته .

خامسا : كيف لم يعرف من سؤال الشيخ عن معنى البيتين فى شبه اعتراض وتحد أنه ليس المجنون الذى يعرفون . وحينئذ يفكرون من تلقاء أنفسهم فيمن يمكن أن يكون هذا المقتحم عليهم درسهم دون أن يلفت الى ذلك أنظارهم أبو سعيد الضرير . وسادسا وسابعا . . . الخ

الرأى الذى يغلب على ظنى أن ياقوتا تلقف تلك الرواية من الرواة الذين قد يكونون أعداء لأبى سعيد ، ليطنب بها فى ترجمة الضرير ، على أنه قد يزعم أنه يمدحه بإيراد ذلك الخبر إذا لم يسم على رأيه رأى سوى قول إبليس .

٢

أما الخبر الثانى فرواه غير واحد من رواة الأدب ، وذكره بعضهم على أنه حقيقة ، وتشكك فيه آخر ، واعتقد قوم أنه خرافة ، وما كان للأول أن يأخذه عن تحقيق جلال الإسناد أو إكبار أصحابه . وحسب هؤلاء أن يروضوا العقل على إقراره ، وإلا نبذوه ، ولكنهم لم يفعلوا ورووه فى حيرة يتشككون.

صاحب هذا الحديث أبو إسحاق إبراهيم الموصلى أمير الألحان عند الرشيد ، وذو الخطوة التى لاتسامى لديه ، فهو سميره لايستطيب مجلسا دونه ، ولا يلتذ سمر حفل ليس الموصلى واسطته فإنه ليستأذنه يوما يقضيه لابين أترابه وحواريه، بل بين حوره وجواريه ، فيستكثر ذلك عليه ، فطورا يلبى رجاءه حفاظا على قلبه أن ينقبض ، وآخر لايجيب نداءه حرصا على عقد مجلسه أن ينفرط ، وهو فى حاليه المعتز بحضره ، القرير الطرف بلحنه وسمره .

سأله مرة فى ضراعة أن يهب له يوما يستمتع فيه بما لايتاح له الاستمتاع به فى حضرة مولاه ، وتمنى أن لو منح يوم الجمعة ؛ ليكون فضل الخليفة عليه جزيلا ، وصنيعه فى صنيعته جليلا ، فأناله بعض طلبته ، وسمح له بيوم السبت الذى يستثقله ، ليسيم فيه سرح اللهو حيث أراد ، فكان ذلك العطاء من أعظم أعطيات الخليفة عنده ؛ إذ أخذ فى ذلك اليوم درسا لم يتلقه عن جوانويه [١] أستاذه الأول ولا عن المجنون [٢] أستاذه الثانى ، فقد بلغ بثالثهما شأوا لم يبلغاه، وأدرك به مدى لم يدركاه ، وأوتى موهبة لم يؤتها أحد سواه .

أمر إبراهيم بوابه أن يوصد الأبواب دون كل قاصد حتى يتم له الهناء الذى بغاه ، وهيأ مجلس أنسه ، ودعا جواريه يقصفن ويغنين ، ويغنى ويرقص،

(١) جوانويه : مغن مجوسى ذهب إليه الموصلى أول عهده بالغناء فأعجب به .

(٢) يزعم الموصلى — فيما يزعم — أنه تعلم الغناء عن مجنون كان يطعمه ويسقيه ، ويخدعه ويأخذ عنه مايجيده من الأصوات كما كان يأخذ أصواته عن الهررة والكلاب .

وإذ هو على حاله تلك فوجىء بمحى يحييه ، هو شيخ وسيم جليل ، له وجه صبوح ولحية مهذبة ، وعليه أثواب مطرزة ، وبين أطرافه عصاقبضتهامفضضة . يفج الأريج من أردانه ، فداخل رب البيت منه رهبة منعته أن يسأله عن اسمه وأربه ، فأشار عليه بالجلوس فجلس ، واخذ فى حديث أفاض فيه الضيف وأجاد ؛ حتى سريت عن المضيف الوحشة وذهب الحنق ، فدعا بالطعام وأراده عليه فأباه ، فعرض عليه الشراب فلباه ، فتسافيا أرطالا من بنت الكرم ،وأخذت سورة المدام الزائر فقال : يا أبا إسحاق هل لك فى أن تغنينا ؟ فالراح نشوة الأشباح ، والغناء سلوة الأرواح ، فنستأثر بك لحظة نستمتع فيها بما بذذت به الأولين ، وبما سيتأثره بعدك الآخرون ، فكبر على كبرياء إبرهيم هـذا الاقتراح ، وخفف وقعه عليه مافيه من أدب وخلابة ، ومالرجل من نبل ومهابة فأمسك العود وعزف مغنيا ، وجود ما استطاع تجويدا حتى انتهى الصوت ، فقال له : أحسنت ياإبراهيم ، فزدنى غناء أزدك حباء ، فآلمه التقريظ ، وساءل نفسه ، من هذا المتطفل المتعالى الذى ما اكتفى بأن يدخل دون استئذان ؟ وبأن يقترح علىَّ الغناء حتى دعانى باسمى ، وما أجمل فى مخاطبتى ، وترفع علىَّ فوعدنى بمكافأتى ورغب فى أن يصل إلى قرارة الموضوع ، فغنى ، وأتى من الإجادة بمالا زيادة بعده لمستزيد ، حتى طرب الضيف وقال :أحسنت ياسيدى فهل تسمح لعبدك فى الغناء ، فكاد عقل إبراهيم يختبل لذلك الأبله المتعاقل ، وقال له : شأنك ! فأخذ العود وجسه ، فحسب إبراهيم أن العود ينطق بلسان عربى مبين ، وأخذ يغنى :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبدا ليست بذات قروح

أباها علىَّ الناس لايشترونها ومن يشترى ذا علة بصحيح ؟

أئن من الشوق الذى فى جوانحى أنين غصيص بالشراب جريح

فأخذ إبراهيم بالتوقيع ، وبهت حتى اختلط عليه الأمر فخال كل مافى

البيت يجيبه ، فلما رأى الضيف ولع مضيفه بغنائه غنى :

ألا ياحمامات اللوى عدن عودة فإنى إلى أصواتكن حزين
فعدن ، فلما عدن كدن يمتننى وكدت بأسرارى لهن أبين
وعدن بترداد الهديل كأنما شربن الحميا أو بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما بكين ولم تدمع لهن عيون

فسلب من إبراهيم النهى ، وأفقده صوابه أن ضيفه قضى على فنه ، ورأى صاحبه ذلك منه فأبى إلا أن يقضى على البقية من لبه فغنى :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد؟ لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحا؟ على غصن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الحزين صبابة وذبت من الوجد المبرح والجهد
وقد زعموا أن المحب إذا نأى يمل ، وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف مابنا على أن قرب الدار خير من البعد

فتصدعت عبقرية إبراهيم بين يدى عبقرية ذلك المارد الفذ ، وصار ذلك المستطيل بصناعته المباهى ببضاعته قزما أمام ذلك الزائر ، فاستمع إليه خاشعا وهو يقول له : تعلم هذا الغناء الماخورى ،وانح نحوه فى غنائك،وعلمه جواريك. فرجاه إعادة فرفض ، وقال له : لست إليها فى حاجة ، ثم غاب عن عينيه ، فارتارع إبراهيم أعظم ارتياع ، وقام الى سيفه فجرده ، وقصد إلى جناح حرمه فوجده مغلقا ، فسأل جواريه أى شىء سمعن ؟ فحدثته حديث الغناء ، وأنه ملك عليهن كل جارحة من جوارحهن ، وتمنين أن لو دام ويحرمن أطايب الطعام والشراب ، فيمم الباب فوجده مؤصدا ، فسأل البواب عن الشيخ الذى خرج الساعة: أى سبيل قصد ؟ فحلف البواب أنه ما خالف له أمرا ، ولا أدخل عليه أحدا ، فرجع فى بلبلة خاطر ، واضطراب فكر ، وخشى أن تكون قد خالطته جنة ، ولكن أخالطت كذلك كل أهل بيته ؟ وإنه لكذلك إذا هاتف يهتف

قائلا : لا بأس عليك يا أبا إسحاق، أنا أبو مرة إبليس ، وقد كنت نديمك اليوم فلا ترع . وكان هذا الدرس أحد دروس عدة تتحدث بها كتب الأدب .

لا يخالج أحداً أدنى ريب فى أن تلك القصة وشبيهاتها من نسج خيال إبرهيم الخصب الممرع ، ليدخل فى روع مولاه الرشيد أنه أوتى ما لم يؤته أحد من رصفائه ، فأستاذه ليس من الأناسى ، وفنه أسمى فن ينتظر ؛ لأنه لن يخطر على قلب بشر .

وبمثل تلك الدعاوى العريضة الغريبة يبعث الخشية فى نفوس لداته ممن كانوا ينافسونه فى الزلفى لدى الخلفاء والوزراء ، ومتى ذاعت مثل هذه الأحاديث تطلع إلى سماعة كل عظيم القدر جليل الخطر يملئون فمه بالنضار ، فيشنف سمعهم بأعذب الألحان على أدق الأوتار ، ولا أسيغ أن يشك صاحب الأغانى فى اختراع هذا الخبر ، وإن كان بعض مرويه مثار شك ، إذ يقول : « هكذا حدثنا ابن أبى الأزهر ، وما أدرى ما أقول فيه ، ولعل إبرهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها ، أو صنعت وحكيت عنه » ثم يروى — مع ذلك — أخبارا لا تقل عن هذه غرابة ، ولا يراها مستحيلة الحدوث .

وكأنى برجال الأدب يبهرهم لألاؤها ويأخذهم بريقها، فيغضون عن تزييفها . وكان أجدر بهم أن يجمعوا بين الحالتين ، ليبلغوا بعملهم الحسنيين ، فيرضوا العاطفة والعقل ، ويخدموا التاريخ والقصة ، ولكنهم لم يفعلوا ، فعلينا أن نتم ما بدءوا . فنخدم الأدب واللغة والدين والتاريخ كما خدموا .

عبد العظيم على قناوى
المدرس بأسيوط الثانوية

ذكرى المرحوم حفني بك ناصف

فى مساء السبت ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٩ ، احتفلت محطة الاذاعة بانقضاء عشرين عاما على وفاة المغفور له ، العالم الأديب ، والمحقق اللغوى ، والمصلح العظيم ، والقاضى النزيه ، والمحدث البارع ، والراوية الأمين ، الأستاذ الجليل حفنى بك ناصف

وقد أذاع ولده الأستاذ مجد الدين ناصف ملخصا لتاريخ حياة والده ، أبان فيه جهوده فى الميادين المختلفة ، فى خدمة الجامعة المصرية بما ألقى من محاضرات فى الأدب وتاريخه ، وفى خدمة اللغة العربية بما ألف من كتب النحو والبلاغة ، وباشرافه على تدريس هذه اللغة حين كان مفتشا أول يستمد المدرسون من روحه ويهتدون بهديه ، وفى خدمة القضاء بتلك الأحكام النزيهة وبالبحوث الفقهية التى كانت — ولا تزال — مرجعا يعتمد عليه رجال القضاء.

ولقد أثارت هذه الذكرى عند حضرة صاحب العزة الشاعر الكبير الأستاذ على الجارم بك عاطفة الوفاء ، فبكى أستاذه بشعر وزنه من نبض قلبه وبحره من ماء جفنه قال :

يا قبرَ حفنى أجبنى ماذا صنعت بحفنى ؟
ماذا صنعت بعلمْ ؟ وما صنعت بفنّ ؟
وما صنعت بفكر ماضى الشباب وذهن ؟
طويت خير مثاب للطائفين وركن

❊❊❊

فى كل يوم رثاء لصاحب أو لخدن !
حتى لقد كاد شعرى يبكى لضعفى ووهنى
فإنما أنا منه وإنما هو منى
الوزن من نبض قلبى والبحر من ماء جفنى
رحى المنايا ، رويدا خلطت طحنا بطحن

وإنمـــا الناس ظعن يسير فى إثر ظعن
فمـــا جديد بباق ولا حـــذارى بمغن
وكل عقـــل مضئ إلى خمود وأفن
يكاد إن مال غصن يشكو الزمان لغصن
تعسا له كم نعزّى حينا وحينا نهنى
من اجتماع لعرس إلى اجتماع لدفن
والمرء يحيي الأمانى والدهـــر يبلى ويفنى
فكم تمنيت لكن ماذا أفاد التمنى ؟
دعنى أقلب طرفى فى ظلمة الليل ، دعنى
حيران أضرب كفى أسى ، وأقرع سنى
قد خاننى الدهر يوما ياليتـــه لم يخنّى
أكلما مر نعش أو طاف نعى بأذنى
طار الفؤاد فلولا بقية ندَّ عنى
لولا التقى لم أجـــده بجانبى أو يجـــدنى
قالوا أجـــدت المراثى فقلت : إن ، وإنى (١)
دموع عينى قريضى وزفرة الوجد لحنى
علّى أداوى حزينا فالحزن يُمْحى بحزن
أو يشتفى ببكاء من شأنه مثل شأنى

٭٭٭

أين النبوغ توارى ؟ يا قبر حفنى أجبنى
أكلما لاح بدر رمته ريح بدجن
وخلّف الأرض حيرى سهل يموج بحزن ؟

---

(١) إن : بمعنى نعم .

ورب زهر شذاه يفوق أرواح عدن
كأنما منحته ألوانها ذات حسن
جماله الغض أغرى أغصانه بالتثني
غذته أطباء طل حينا وأثداء مزن
تسرى به الريح رفقا في خشية وتأنّ
كأنها فم أم يمر في وجنة ابن
النحل ترشف منه رحيقه وتغنّى
تجنى فتجني خدودا من دوحه حين تجنى
طغت عليه سموم حرى كأنفاس جن
فغادرته ركاما أجف من عود تبن
والدهر أحرى رفيق بأن يخون ويخنى

٭٭٭

ياقبر حفني أجبني وارحم بقية سنّي !
قد راعني منك صمت بحقه لاترعني
ففيك أمضى جنانا من كل فصح ولسن
وفيك شعر نقى من كل وقص وخبن
كأنه بسمات للوصل بعد التجني
أو نفحة من جميل طافت بأطياف بثن
أو رغوة من سلاف تفيض من رأس دن
كم نكتة فيه كادت تخفى على كل ظن
مصرية جال فيها ذوق الأديب المفنّ

٭٭٭

لو كنت تعرف حفني لقلت زدني وزدني

نحو يصك الكسائى ويزدرى بابن جنّى
وإن أثير جدال رأيته خير قرن
العلم خير سلاح له وأوقى مجن
قد كان ضخما جسيما يبدو كشامخ حصن
فى وجهه لمحات من روحه المستكنّ
والصدر رحب فسيح ما جاش يوما بضغن

⁂

قد زارنى ذات يوم فى وقت قيظ وكِن
فكان أنسا تدانت به المنى بعد ضن
فاض الحديث زلالا عذبا وماقال قطنى!
فكاهة من لدنه ونكتة من لدُنّى
فى الأذن قهوة كرم والكفّ قهوةُ بُنّ
أروى ويروى القوافى كالدر وزنا بوزن
يامجلسا عاد شوقا يذكى الفؤاد ويضنى
ضاع الصبا ورجعنا منه بصفقة غبن

⁂

حفنى، سلام ونور لقلبك المطمئن
فارقت أهلا وسَنا لخير أهل وسكن
تَثنى إليك القوافى أعناقها ثم تُثنى

علي الجارم

أثر الشخصية فى الأسلوب

للأستاذ عبد الوهاب حموده
المدرس بكلية الآداب

ليس من السهل تحديد الشخصية وتعريفها تعريفا علميا جامعا مانعا ؛ فهى كالكهربا والمغناطيسة لا تعرف إلا بآثارها ، ولكن كل هذا لم يمنع علماء النفس من محاولة البحث عن سرها وتعريفها ولو تعريفا مقاربا ، فقالوا :

(١) الشخصية هى مجموع الصفات والمزايا الذاتية التى يمتاز بها الشخص عن غيره سواء أكانت تلك الصفات حسنه أم قبيحة .

أو هى :

(٢) مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التى يتصف بها الإنسان .

أو هى :

(٣) مجموعة الفروق التى تميز الشخص عن غيره .

والشخصية قد توهب بالفطرة ، وقد تكتسب بالتربية الحقة ، ولكن الطبيعية أقوى من المكتسبة.

فكما أن الناس يختلفون فى الذكاء والميول الفطرية يختلفون كذلك فى الشخصية ، فبينما تجد هذا قوى الشخصية تجد ذاك خاملا ضعيف الشخصية .

والشخصية تختلف باختلاف الأفراد فى أمزجتهم .

والمزاج : هو ذلك العنصر من عناصر الحياة العقلية الذى يختلف باختلاف الأفراد من الناحية الوجدانية، وكذلك من الناحية النزوعية .

وهو نتيجة امتزاج العناصر المكونة للطبيعة البشرية بنسبة خاصة ؛ ويكاد يكون من المتفق عليه عند علماء النفس أن للأمزجة آثارا بينة فى الشخصية ،

وأنها تختلف باختلاف الأفراد ، وأنها تحدد وجهة نظر الفرد نحو بيئته ، وتؤثر فى سلوكه إلى حد بعيد جدا .

وهم قسموا المزاج الى الأقسام الآتية :

١ — المزاج الدموى : وصاحبه يكون سريع التأثر ، متقلبا ، مولعا بالمسرات ، مائلا الى الرعونة ، متحمسا ، غير مثابر ، قوى الخاطر .

٢ — المزاج الصفراوى : يكون صاحبه نشيطا ، قوى الوجدان ، مثابرا ، قوى الآمال ، عنيدا ، ثابت المبدأ ، شديد الغيرة حتى تصل به إلى الحقد .

٣ - المزاج السوداوى . يكون صاحبه كثير الظن ، مضطرب الخيال ولكنه قادر على أن يكون عبقريا نابغة .

٤ — المزاج البلغمى . يكون صاحبه ضعيف الانتباه ، كسلان ، بطيئا متثاقلا ، غير متحمس ، ملتوى السلوك ، مولعا بالراحة الشخصية .

٥ — المزاج العصبى . صاحبه سريع التهيج ، قوى الخيال ، خفيف الروح متقلب عرضة للاضطراب العصبى ، فيه نبوغ وعبقرية .

فالأمزجة تجعل من الانسان المتفائل والمتشائم ، وسريع التأثير والبليد ، وكثير التردد وكثير الإقدام .

هل من الممكن تغيير المزاج ؟

قد اختلف العلماء فى الإجابة عن هذا السؤال فقال الفيلسوف الألمانى هرمان لوتز (Herman Loize) : إن مزاج كل منا يتغير بانتقاله من مرحلة من مراحل الحياة إلى التى تليها . فكل مرحلة لها مزاج خاص يناسبها :

ا — فالطفل يبدأ حياته بالمزاج الدموى ، ولاشك أن مميزات هذا المزاج تتمثل فى الطفل لأنه متقلب سريع التأثر بالمثيرات الخارجية .

ب — والمزاج الملازم لمرحلة الشباب هو السوداوى ، إذا فهمنا من هذا المزاج مايشمل قوة العاطفة ، والميل إلى تمثيل الحوادث والأعمال .

حـ ـ ويمتاز عصر الرجولة بأنه عصر المزاج الصفراوى ، إذ الرجل العادى الذى حنكته التجارب يميل إلى التردى والتفكير فى العواقب .

ى ـ أما عصر الشيخوخة فهو عصر المزاج البلغمى ؛ لأن الكهل يكون فى العادة متعبا مثقلا متشائما يتوقع الموت ويحزن على حرمانه من مسرات الحياة وملذاتها .

على أن هناك عوامل أخرى لتغيير الأمزجة غير عامل السن .

منها المناخ فإن للمناخ تأثيرا كبيرا فى الأمزجة ، فأمزجة من يسكنون الأقاليم الباردة ليست مثل أمزجة من يسكنون الأقاليم الحارة . والأغذية ، فقد وجد أن لبعض الميول الإجرامية أو العادات المضرة بالمجتمع الناشئة عن بعض الأمزجة علاقة بنوع الطعام الذى تناوله المجرم . وقد لاحظ بعض الأطباء أن إطعام القتلة المجرمين نوعا خاصا من الطعام يخفف من أمزجتهم ويلطف من طباعهم . . وقد وجد أيضا أن تناول بعض العقاقير والأدوية باستمرار يؤدى إلى تغيير محسوس فى الأمزجة وتقدم فى الأخلاق وبعد عن الإجرام .

وقد لاحظ ابن خلدون ذلك فأنشأ فصلا (فى أثر الهواء فى أخلاق البشر) ذكر فيه :

«أن من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق فى كل قطر .

والسبب الصحيح فى ذلك أن طبيعة الفرح والسرور هى انتشار الروح الحيوانى وتفشيه ، وطبيعة الحزن بالعكس هو انقباضه وتكاثفه ؛ وقد تقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة له زائدة فى كميته . ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور مالا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب من الحرارة الغريزية التى تبعثها سورة الخمر فى الروح من مزاجه .

ولما كان السودان ساكنين فى الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم

وفى أصل تكوينهم كان فى أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وأقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الأقاليم الباردة أشدحرا ، فتكون أكثر تفشياً فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا؛ويجىء الطيش على أثرهذه . وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلادالبحرية ؛ فلما كان هواؤها متضاعف الحرارة كانت حصتهم من توابع الحرارة فى الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة ».

وكما أن الشخصية تختلف باختلاف الأفراد، تختلف أيضا باختلاف الشعوب ففى الشخصية الألمانية تتمثل الروح العسكرية والطاعة العمياء. وفى الشخصية الانجليزية تبدو الثقة بالنفس واحترام الذات وتقدير الحرية الشخصية ، وفى الشخصية الفرنسية تغلب العاطفة على التفكير والنظريات على الأعمال، وتكثر الآمال والميل إلى الخيال وحُبّ الظهور . وفى الشعب المصرى مايشبه الشعب الفرنسى من وجوه كثيرة.

وكذلك لمظهر الإنسان وقوامه أثر فى شخصيته .

فالرجل الصحيح الجسم الحسن القامة قد لايحتاج فى إظهار شخصيته والتأثير على غيره إلى مايحتاجه الشخص النحيف الجسم المشوه الخلقة ؛ فبينما نجد الأول طبيعيا فى معاملته ؛ لأنه لايشعر بنقص خارجى يريد أن يكمله ، تجد الثانى محبا للظهور متكلفا فى أقواله وأفعاله متخذا كل وسيلة يستطيع أن يظهر بها نفوذه ، فيتظاهر بالعلم تارة ويفخر بحسبه ونسبه تارة أخرى، ويلجأ إلى الخداع والمكر حينما يحس بنقص من الناحية العقلية أو الخلقية ، فالإنسان حينما يحس بنقص من الناحية الجسمية مثلا ، تراه يعمل على أن يسد هذا الفراغ ، ويكمل هذا النقص من الناحية العقلية أو الخلقية حتى يظهر شخصيته للملأ :

فسقراط مثلا شيخ الفلاسفة من اليونان كان أفطس الأنف غليظ الشفتين جاحظ العينين قبيح المنظر، ولكنه قد وصل بمواهبه العقلية والخلقية

إلى ذروة المجد ، ويكفيه فخراً أنه أستاذه أفلاطون .

والجاحظ أديب العلماء وعالم الأدباء ، كان دميم الخلقة جاحظ العينين ، ولكنه كان بجانب ذلك خفيف الروح ذكى الفؤاد واسع الاطلاع ، فإذا قص الإنسان من جهة حاول أن يكمل نفسه من جهة أخرى .

والبيئة : ويقصد بها المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان ومنه يستمد حاجاته ، فتارة يحتاج الإنسان فى ذلك المجتمع — لكى يحقق رغباته — إلى كفاح شديد وصراع عنيف ، وكثيرا مايفشل ذلك المسعى وتخيب آماله . فيكره الناس ويبتعد عنهم ليعيش بينه وبين نفسه فى عزلة ناقما على الحياة متمردا على النظم — كأبى العلاء المعرى — وابن الرومى — والمازنى .

إذا عرفنا ذلك سهل علينا الوقوف على سر اختلاف الشعراء والكتاب والخطباء فى أساليبهم وطرق تعابيرهم . فقد يتفق شاعران فى معنى وترى لهذا أسلوبا ترتسم فيه شخصيته وتلمح فيه قسماته ، يخالف فيه أسلوب الآخر . فهناك شخصية عنيفة مجالدة صخابة متعجرفة ، وهناك شخصية لينة دمثة بسامة مواتية هادئة .

يقول دعبل فى أسلوب لين رقيق مستكين ، ترى فيه شخصية رجل مستسلم وادع ، خافت الصوت ، وطىء الجانب .

لاتأخذا بظلامتى أحدا ؛ قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

ويقول المتنبى فى المعنى نفسه ؛ فيريك شخصية حادة متعجرفة كثيرة الاعتداد بذاتها ، هجّامة صخّابة :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل؟

ثم يقول أبو نواس فى تواضع وهوادة شأن المستهترين الحريصين على لذاتهم ، المولعين بشهواتهم .

سنة العشاق واحدة ؛ فإذا أحببت فاستكن

يأخذه المتنبى فيملأ به فاه، ويهز به الأسماع، ويأمر كأنه ضابط عسكرى يصدر أمرا، أو زعيم ديكتاتورى يشير فيطاع:

تذلل لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع

وكذلك الشأن إذا وازنّا بين خطبة للحجاج مثلا، وخطبة لمعاوية؛ نجد الفرق واضحا بين الشخصيتين، والتباين ظاهرا بين المزاجين.

ومن هنا كانت خطب آل البيت قوية فى مبناها صادعة فى معناها؛ لقوة عقيدتهم فى حقهم، وعظم ثقتهم بأنفسهم، وامتلاء جوانحهم بإيمانهم.

فأى خطيب أفصح من على بن أبى طالب فى الخلفاء؟ فقد كانت الحكمة تتفجر من جوانبه، وتتدفق البلاغة على لسانه، وكانت ألفاظه ملء السمع والقلب، وحجته دامغة قاصمة، والسر فى ذلك يرجع إلى شخصيته وقوة نفسه.

يقول ضرار الصدائى فى وصفه:

«يعجبه من اللباس ماقصر، ومن الطعام ماخشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته».

وإذا انتقلنا إلى عصرنا، وجدنا الفرق بين أسلوب شوقى وأسلوب حافظ كالفرق بين الشخصيتين والتباين بين المزاجين.

فالأدب مرآة تظهر فيها شخصية الشاعر، ويرتسم عليها مزاج الأديب، من تفاؤل وتشاؤم، وأنفة واستخذاء، ونارية واعتدال، وكبرياء وتواضع.

عبد الوهاب حمودة

ساحر الشمال

أو

سير ولتر سكوت (١)

للأستاذ عبد الرازق حميدة

قدمنا فيما سبق من حديث أن « سكوت » بدأ حياته الأدبية شاعرا مجيدا ، وأنه لقى نجاحا عظيما فى الشطر الأول من حياته كناظم يؤلف الدرر ، وأن الجمهور كان يتلقى قصائده أحسن لقاء . وقلنا إن « سكوت » كان ينحو فى شعره ناحية رومانتيكية خاصة ، تعنى كل العناية بالأبطال السابقين وبتصوير مشاهد الفروسية ، ورجالها ، وبالحب البرىء ، بين نبيل من هؤلاء الأبطال، وغادة من الغيد الحسان اللائى تزهى بهن قصص البطولة .

وقد ربح سكوت مالا وشهرة من وراء الشعر ، وكسب مجداً وثروة من آثار مانشره من قصائد غر ، مازالت مضرب الأمثال فى القوة والحلاوة ، وقد حاول النثر كما قدمنا ، وابتدأ روايته « ويفرلى » Waverly . ولكنه عرضها على صديق قبل أن تكمل . فنصح له أن ينصرف عن هذا الضرب من الأدب الذى لايلائم استعداده ففعل « سكوت » . واستمر فى خطته الأولى ، حتى ظهر فى سماء الشعر نجم متلألىء صرف الأبصار تلقاءه ، وخسف « سكوت » ذلك هو لورد بيرون « Lord Byron » فرجع « سكوت » إلى قصته التى بدأها

---

(١) كنت أفضل أن أكتب هذا الاسم « سكط » « أو سكت » (بتسكين الأول وضم الثانى وتشديد الثالث) ليكون قريبا جدا من نطقه فى الانجليزية . ولكن من كتبوا عنه قبلى آثروا هجاءه فى اللغة العربية كما هو مكتوب فى العنوان ، فتبعت طريقتهم لأنها شائعة ، لالسبب آخر .

منذ أعوام ، وأتمها فى أسابيع قليلة ثم نشرها فلقيت أعظم حظوة ، وتطلع الناس إلى معرفة كاتبها ؛ إذ أنها نشرت غير منسوبة ، ولما يئسوا من معرفته أطلقوا عليه « العظيم المجهول » فشجعه ذلك على المثابرة والاسترسال، وانصرف قلبه إلى القصص النثرى الذى يدور حول الفروسية التاريخية وحكايات الأبطال.

وبرز قلمه قويا من أول يوم ، يستهوى القارئ ويأسر لبه . وتتابعت رواياته سريعا بعد « ويفرلى » وكثر إنتاجه كثرة تحمل على الشك فى أن يكون منشئها واحدا ، أو تدعو إلى الاعتقاد أنه كان عبقريا موهوبا ، وساعدته أرباحه من تلك القصص على أن يعيش عيشة النبلاء فى بيته ، وأن يجعله مثابة لأصدقائه، يتلقاهم فيه على الرحب والسعة ، وينزلهم فيه منزلا كريما .

وقد أنتج فى الشطر الثانى من حياته روايات خالدة ، وقصصا فى البطولة، مازالت تتمتع بمركز ممتاز بين أحسن القصص الرومانتيكية ، ومازال يتجدد شوق القراء إلى الكثير منها ، ويتمتعون به كمتعتهم بأى قصة جديدة لكاتب حديث .

أما خير هذه القصص على الإطلاق فهى .

(١)

ايفانهو Ivanhoe

وهى رواية تاريخية بين فيها (سكوت) التنافس بين السكسون سكان انجلترا الأصليين ، والنورمانديين الذين جاءوا إلى انجلترا فاتحين قبل تاريخ هذه القصة بما يقرب من قرن من الزمان .

كتبها سكوت سنة ١٨٢٠ . وبدأها بوصف الغابة الجميلة التى تغطى بطون الأودية ، وسفوح الجبال بين شيفلد ودونكاستر فى المقاطعة التى ترويها مياه نهر (دن) River Don

---

(١) كانت هذه الرواية مقررة على تلامذة المدارس الثانوية فى سنة ١٩٣٦ وترجمت إلى العربية ترجمة مدرسية . وقد ترجم لسكوت غيرها رواية أخرى هى « الطلاسم » ترجمها أحد إخواننا الأفاضل بمدرسة فاروق الأول الثانوية .

كان ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا غائبا عن بلاده فى الحرب الصليبية الثالثة . وكان أخوه الأمير (جن) يحكم البلاد نيابة عنه حتى يعود من فلسطين، ولكنه كان يرغب فى اغتصاب العرش لنفسه ، وطرد أخيه ، ولم يكن الامتزاج قد تم بين الفاتحين من النرمانديين وبين السكسون سكان البلاد .

وفى مكان جميل من الغابة التقى أحد الرعاة عند سدريك Cedric — أحد رؤساء الاقطاع فى مقاطعة روذر وود Rother Wood — مع مضحكه وامبا « Wamba » وقد ضاق الراعى ذرعا بخنازيره التى لا تستجيب له دعاء ، ورجا (وامبا) أن يساعده ، فاستشار رجليه ثم نهض ، حتى خوفه الراعى من العاصفة والمطر فاستجاب المضحك لندائه ، وساعده على جمع الغنم فى صعيد واحد .

وقد سمع الراعى وقع أقدام خيل قادمة ، وأخبر المضحك بذلك . وبعد زمن ظهر لهما الفرسان ثم اقتربوا رويدا رويدا حتى وقفوا عليهما ، وكان يتقدم جماعة الفرسان فارسان عليهما سيما النبل والوقار ، وكان أحدهما قسا تبدو عليه آثار النعمة والرفاهية ، وكان الثانى فارسا من الذين وهبوا أنفسهم للحرب فى سبيل الدين ، واستخلاص بيت المقدس من المسلمين . وعلى الرغم من تظاهر أمثال هذا الفارس بالتدين فقد كانوا سيئ السمعة مشهورين بالغلظة والشح ، وكان مظهر هذا الفارس يقذف الرعب فى قلب كل غريب ، وكان مع هذين الفارسين آخرون بعضهم شرقى الزى ، وبعضهم غربى الوجه واللسان .

وسأل القسيس عن الطريق إلى حصن سدريك Cedric ؛ أما الراعى فقد أبى أن يجيب عن هذا السؤال ، ولم يتأثر بتهديد أو وعيد ، وأما المضحك فقد شغل بهذا المنظر — منظر الركب — عن الرد ، حتى استهواه القسيس بالرشوة، فدلهم على طريق يضللهم ولا يهديهم ، فساروا فيه يتحدثون ، وفيه أخبرهم القسيس أن سدريك سريع الغضب ، وحذرهم أن يعرضوا للسيدة رونا Lady Rowena بسوء لأن سدريك لا يحتمل ذلك ، وأنه قد طرد ابنه إيفانهو (Wilfridivanhoe)

من منزله بسبب ما أظهره من تودد إلى ليدى رونا . واستمر الركب سائرا حتى أتوا إلى مفرق طرق فلقوا رجلا نائما فأيقظوه ، وسألوه عن الطريق إلى بيت سدريك ، فطلب منهم أن يتبعوه ، وانطلق أمامهم فى الغابة حتى وصلوا إلى الحصن ، ونفخوا فى أبواقهم ، فأفاق سدريك من أفكار كانت تدور برأسه؛ لتأخر الراعى والمضحك وغياب ابنه إيفانهو فى فلسطين ، وتأخر ليدى رونا خارج البيت ، ولم يمنعه من رد الضيوف إلا خوفه من أن يقال عنه إنه بخيل .

استقبل سدريك ضيوفه وهو جالس إلى مائدة العشاء ، ودخلت رونا بعد فترة ، فصوب إليها الفارس سهام نظره ، فاستحيت وغطت وجهها ، واسترعى ذلك انتباه سدريك فتميز غيظا وقال للقسيس : إن الخدود السكونية لم تخلق لمثل هـــذه النظرات المريبة ، فاعتذر الفارس وتمنى أن تكون ليدى رونا أكثر عطفا وائتناسا فى الاحتفال الذى يتلو العشاء . وقطع حديثه خادم دخل يؤذن بضيف جديد يطلب قرى ، وهمس فى أذن سيده أنه يهودى؛ فأذن له السيد ودخل دخولا غير محمود ، ولم يظفر بكثير من الإكرام ولا قليل . وتحدث القوم عن فلسطين وما أبداه الشجعان الإنجليز من إقدام وثبات فى ميادين القتال . وكان المتحدث عندئذ « حاجا » قد جاء حديثا من تلك الديار فمنحه سدريك خاتما من الذهب لما أنبأ به من أخبار الأبطال الإنجليز، وطلب منه أن يذكر له أسماءهم،فكانوا من السكان الأصليين لا من النورمانديين الفاتحين . وكان ولفرد إيفانهو Ivanhoe سادس ستة أبلوا بلاء حسنا فى الأراضى المقدسة ، وتمنى له « الحاج » عودا حميدا إلى انجلترا ، غير أن فارسا آخر تمنى أن يراه قريبا ليقابله فى مبارزة ، وتمنت ليدى رونا عودته سالما لتنعم بلقائه ، وخشى القسيس أن يحتدم الجدل. وانفض الجمع ؛ والتقوا بعد العشاء فى الردهة، ومر الفارس يوزع نظراته هنا وهناك ، وكان ينظر إلى اليهودى نظرا شذرا ، وأخيرا قال له : أظنك سائرا فى الطريق الذى سنسير فيه . فطأطأ اليهودى رأسه

وأجاب بنعم، ثم أجاب بالنفى عن سؤال خاص بما معه من النقود، مدعيا أنه لا يملك منها شيئا.

وبعد أن انتصف الليل ذهبوا إلى مضاجعهم؛ وبينما كان «الحاج» فى طريقه إلى حجرة نومه قابلته إحدى وصيفات رونا وأخبرته أن سيدتها تود أن تتحدث معه، فلبى دعوتها وذهب إلى حجرتها وانصرفت الخادم، فسألته رونا عن مصير إيفانهو، فأخبرها أنه لا يعلم أكثر مما أفضى به عنه، ودعا له بخير، وأمنت رونا على دعائه، وكانت تود عودته ليفوز بالجائزة فى المبارزة التى أقيمت ليلتئذ.

خرج (الحاج) من عندها إلى حجرة نومه المجاورة لحجرة اليهودى، ونام على فراش خشن غليظ، وفى الصباح استيقظ مبكرا، ودخل غرفة نوم اليهودى فوجده مجهودا، يتكلم وهو نائم، ويقول: لن أعطيك شيئا ولو قطعت أوصالى؛ ليس معى نقود! فأيقظه الحاج، وأخبره أن مكيدة تدبر لاغتصاب ماله فى الطريق، وأمره أن يغادر المنزل فى الحال، وساعده على الفرار من الباب الخلفى، وخرج معه ليريه الطريق، حتى أبعده عن سلطان الفارس، ثم ودعه، فوعده اليهودى أن يعطيه فرسا وعدة حرب على أن يردها، ناسيا أن درع الفارس المهزوم فى مبارزة هى للغالب، فلما ذُكِّر بذلك اضطرب، ولكن إحساسا شريفا تغلب على حبه للمال، فصرح ثانيا أنه لا يهتم، ولكنه نصح للحاج بالأناة والحذر، والمحافظة على شبابه، ثم افترقا.

أول يوم للمبارزة فى آشبى Ashby

وفى آشبى «Ashby» كانت الخيام مضروبة للمتبارزين، وكانت فى صفين بينهما عرش تحيط به أعلام رسمت عليها قلوب دامية، وسهام مخضبة، وأقواس مشدودة، وقد أعد ذلك العرش لتجلس عليه «ملكة الجمال والحب» ولكن من هى السعيدة التى ستحظى بهذا اللقب؟

تجمع خلق كثير من كل طبقة فى يوم المبارزة، ليشهدوها، وحضر اليهودى إسحق، وابنته الجميلة ريبكا «Rebecca» وفى الوقت الموعود جاء الأمير «جن» وحاشيته، وهم فى أفخم الملابس. وعندما رأى الأمير ريبكا فتنه جمالها وسحره، فاختارها لتكون ملكة توزع الجوائز على الفائزين، فاعترض القسيس محتجا بأن ليدى رونا السكسونية أجمل منها، وأحق باعتلاء هذا العرش، ولكن الأمير «جن» لم يصغ إليه، فثارت ثائرة الجمع، فخضع الأمير لحكمهم، ونحى ريبكا، وتم الاتفاق على أن يكون للفائز الحق فى اختيار الملكة، ودارت المبارزة، وانتصر اللوردات النورمانديون، فثار سدريك Cedric، ولكنه صبر حتى جاء «الفارس الشريد» المعروف عند الحاضرين باسم «Homeless Kmight» فبارزهم وانتصر عليهم، ولم يشأ أن يعرف نفسه أو يكشف عن وجهه غطاءه. فظن الأمير أنه أخوه ريتشارد قلب الأسد، ولكنه كظم غيظه، وأخفى شعوره، وقدم إليه هديته، وأمره أن يختار الملكة التى تجلس على عرش «الحب والجمال» فاختار ليدى رونا.

وذهب «الفارس الشريد» بعد النصر إلى خيمته، ودخل عليه خمسة من الخدم مع كل منهم هدية هى درع وجواد مهداة إليه من سادتهم، ففضل أن يأخذ هداياه نقودا من أربعة، وأما الخادم الخامس فقد رده قائلا: إنه مازال بينى وبين سيدك ثأر، والحكم بيننا غدا. ثم أرسل الراعى بقطع من ذهب إلى اليهودى رداً لجميله. فتسلم اليهودى النقود عدا، والراعى يتطلع إلى واحدة منها ولعابه يسيل، واكتفى اليهودى بشكره قولا لا فعلا. وتركه يخرج من بيته، أما ريبكا فتلحقت به وردت إليه ماكان يحمله من ذهب مضاعفا، وعينت له نصيبا كبيرا فيه، ولسيده «الفارس الشريد» الباقى، ورجته كذلك أن يغفر لوالدها إهماله، فقد كان يود المزاح معه.

بينما كان الراعى فى طريقه إلى سيده سطا عليه لصوص ملثمون، وطلبوا

أن يسلمهم ما معه ، فأخبرهم بقصة النقود ، وأنها مرسلة هدية إلى الفارس الشريد ، ورأى قائد اللصوص أن يترك نصيب الفارس يذهب إليه ويأخذ الباقى ، فطار لب الراعى ، وغاب صوابه ، واستجمع قوته وأوسع القائد ضربا ، ولكنه لم يستطع الفرار ، فقد تكاثرت عليه الأيدى وعتاته ، ومع هذا فقد أعجب به قائد اللصوص ، وقرر أن ينازله واحد من أعوانه ، فانتصر الراعى ، وكان جزاؤه من قطاع الطريق هؤلاء ، أن يذهبوا به إلى قرب خيمة سيده ، وأوصوه أن يبقى الأمر سرا مكتوما ، وإلا ناله من أذاهم ، فوعدهم بالكتمان . ولكنه ما كاد يرى سيده (الفارس الشريد) حتى أفضى إليه بما حدث ، فأعجب الفارس بنبل ريبكا ونبل قطاع الطريق .

اليوم الثانى فى آشبى :

فى اليوم الثانى من المبارزة حمى النزال واستحر القتل [1] ، وانتهى بانتصار الفارس ، وتقدم إلى عرش ملكة الجمال ليتسلم جوائزه فأبى الحكام عليه أن يتقدم إلا إذا كشف رأسه ، فكشفه ، فإذا هو مجروح ، وإذا حربة قد اندقت فى صدره فجرحته جرحا بالغا ، وإذا هو إيفانهو بن سدريك وحبيب رونا .

وكان لابد من أن يرث أرض المغلوبين وديارهم وأموالهم ، غير أن الملك نفس عليه الانتصار ، وأراد أن يحول بينه وبين رونا ، ففكر فى حرمانه هذه الثمرات ، وفكر كذلك فى تزويج رونا من واحد من الرماة الأبطال .

سقط إيفانهو مغشيا عليه من الجراح ، ووكل والده من يحمله إلى حصنه فى روذَرْوُودْ « Rorherwood » بعد انصراف الناس ، ولكنه

(١) فى مثل هذه المواطن يصور سكوت أماكن القتال أبدع تصوير ، ويصف الفرسان وجيادهم وملابسهم وحركاتهم ، وسكناتهم ، والمشاهدين وانفعالاتهم وسيماهم وما تدل عليه نظراتهم ، ويكون دقيقا فى وصفه حتى لتكاد ترى مكان الكلمات والجمل صورا ورسوما ناطقة .

اختفى ؛ إذ حملته « ريبكا » فى عجلة ، وسارت به فى طريقها إلى بيت أبيها وظلت سائرة حتى التقت فى الغابة بمن خوفها قطاع الطريق الذين ينتظرون مقدمها، ويسلبونها مامعها من نقود وحلى . فسمعت لكلام محدثها وانتظرت حتى مر بها ركب آخر فيه سدريك أبو إيفانهو وفيه ليدى (رونا) فطلبت منهم أن يصحبوها فى طريقها وأن يؤنسوها من أجل شخص عزيز على السيد (سدريك وليدى (رونا) كما هو عزيز عليها . فرضى الركب وساروا معاً .

وبعد ثلاث ساعات التقوا بعصابة من قطاع الطريق نرماندية ، فأسرتهم وحبستهم ، وكلفتهم فى محبسهم أن يعمل كل منهم عملا ، وكان على ريبكا أن تغزل وهى فى أسرها . وكان آسرها هو (فرن دبيف) Front-de-Boeuf . وسمع الراعى والمضحك بما حدث لسيدهم فأرسلا خطابا إلى الآسرين يطلبان فيه إطلاق سراح الأسرى جميعا . فكان الرد عليهما أن هؤلاء سيقتلون ، وأن على مرسلى الخطاب أن يبعثا قسيسا يشهد الموت ويستغفر للمحكوم عليهم . فاهتديا إلى حيلة ، وذهب المضحك فى لباس قسيس ، وادعى عند وصوله إلى الحصن أنه قسيس تائه ، واستبطأ الآسرون مجىء قسيس آخر ، فرضوا بهذا ليقوم بالاستغفار والشهادة على التوبة . وكانت فرصة سعيدة انتهزها المضحك المتنكر . ودخل على سدريك ، وطلب منه أن يبدل ثيابه بثيابه،ويخرج ليهرب، وعلمه كلمات لاتينية يتمتم بها فتكون جواز مرور ، يقتحم به كل عقبة . ولكن صادف أن التقى سدريك من أول أمره بمن يعرف اللاتينية فاضطرب ، وكادت تنكشف حيلته لولا اختفاؤه من محدثه فى جانب مظلم من الحصن . وأخيرا نجا ، وذهب إلى مقاطعته ، وجمع جموعه ، وهجم المنقذون على الحصن ، ونجا إيفانهو بعد احتراق الحصن . أما ريبكا فقد فر بها أحد الآسرين ؛ وهو (بواجلبير) Bois-quilbert

خرج اليهودى إسحق فى طلب ابنته ريبكا . فالتقى فى جولانه برهبان فى دير ،

واضطر إلى الإفضاء إليهم بما هو فيه من ضيق ومايسعى إليه ليسترد ابنته. وأطلعهم على خطاب توصية كان يحمله معه إلى (بواجلبير) ليطلق سراح (ريبكا) فلم يقتنع الرهبان بشيء مما قال ، واتهموا ابنته بالسحر، وقرروا موتها حرقا بعد محاكمة صورية . ولكن عادات تلك الأيام كانت تبيح لمثل ريبكا أن تقرر مصيرها بدعوة فارس تختاره ليبارز فارسا آخر يكون راضيا عن الحكم، والحكم الأخير لمن ينتصر من الفارسين .

أما إيفانهو فقد ذهب بعد خروجه من الحصن إلى دير سان بوتلف «Saint Botolph» ثم غادره مع الراعى ، وسارا حتى أدركا (الفارس الأسود) الذى ساعد إيفانهو على الانتصار فى اليوم الثانى من المبارزة ، والذى كان فى أشد الحاجة إلى مساعدة إيفانهو عندما أدركه ، إذ هاجم هذا الفارس الأسود كمين وضعه له الأمير (جن) ، وانتصر الاثنان على الكمين . وبعد الانتصار أظهر الفارس الأسود شخصيته ، وكشف قناعه وعرفه الناس ملكهم القديم (ريتشارد قلب الأسد) . وأمر الملك أن تزول من الرءوس فكرة الخلاف بين النرمانديين والسكسونيين ، وأمر أن يسوّى بينهما فى كل شيء . ثم أمر سدريك أن يصفو لابنه إيفانهو، ففعل.

النجاة :

تلقى إيفانهو رسالة من (ريبكا) تخبره بما هى فيه من شدة وتستنجد بهمته وشجاعته، فذهب لنجدتها مع الراعى ، وأدركها وهى على وشك أن تلقى فى النار الموقدة لها ، والتى أعدت عدتها من قبل ، وأتى لها بالحطب الجزل ، ونصبت أعمدة فى وسطها لتشد إليها (ريبكا) ، وجيء بالقساوسة والأشهاد ، وقرئت دعوى الاتهام ، واجتمع كثير من الشامتين فى هذه اليهودية الجميلة الساحرة بجمالها لا بسحرها .

وانعقدت الألسنة ، وحبست الأنفاس ، ودار رأس (ريبكا) وتطلعت

عيناها، فلم تجد من يرق لها، أو يأخذ بناصرها، فأسلمت أمرها لله رب إبراهيم وموسى، وتوكلت عليه. ثم استمهلت، فأجلها القاضى فترة، لاح بعدها على البعد فارس ينهب الأرض بجواده نهبا، وقد ولى وجهه شطر هذا المشهد الرهيب، ثم وقف عندهم، وأخبرهم أنه قدم لنصرة (ريبكا) وأنه هو (إيفانهو) فبرز له آسرها بواجلبير Bois Guilbert واقتتل الفارسان، ودارت الدائرة على الآسر، وقضى الله لهذه الحسناء (ريبكا) أن تنجو.

وقبل أن ينصرف الناس جاء الملك وجنوده، وأمر بالقبض على أعدائه والقصاص منهم. ثم تزوج إيفانهو من ليدى (رونا) وقدمت (ريبكا) إليه هدية قيمة حقا، أما هى فقد وهبت نفسها لعمل البر، ومواساة البائسين ومساعدة ذوى الحاجات؛ شكرا لله على خلاصها من النار.

نقد عام :

ما تقدم هو خلاصة «إيفانهو»، أحسن رواية نثرية أخرجها «سكوت» للناس، وأصدقها تمثيلا لروحه الغالبة على رواياته، وقد تخير لها وقتا اشتهرت فيه انجلترا بدفاعها عن بيت المقدس، ذلك هو زمن الحروب الصليبية الثالثة، ولكنه وصف فيها حياة الفرسان فى العصور الوسطى، وقدمهم لنا كما كانوا يعيشون: معاقلهم ظهور خيلهم، والبطولة غايتهم، والمجد والشهرة رائدهم، والغارات أو الحروب أو قطع الطريق كلها ميادين تظهر فيها الشجاعة والمهارة فى الكر والفر، والإفلات والإقدام، فلا بأس من أن يحترف الفارس أيها شاء. وصور اهتمام الناس كبيرهم وصغيرهم بحفلات المبارزة. وحضور الملوك والأمراء فيها يدل على ذلك دلالة قوية.

ولا بد من أن تزين تلك الحفلات واحدة من الجنس اللطيف، لتعتلى (عرش الجمال والحب) وتكلل جبين الظافر بالغار والريحان، ولا بد أن يكون الفارس الأول من أولى النجدة والمروءة، نبيل الشعور رقيق الإحساس، كما

يصوره (سكوت) فى شخص (إيفانهو) .

أما قدرة (سكوت) على سبك القصص ففيها كلام ، فرواياته كانت تتوالى بسرعة مدهشة ، والفكرة التى تدور حولها الرواية كانت تتطور فى أثنائها بسرعة كذلك ، وكان لا يعنى كل العناية بنهاية النصة ، بل كان يختمها حيث يروق له ذلك ، ولا قاعدة له . وأما شخصيات الرواية فكانت تنتهى ضعيفة بعد أن بدأت قوية مثل (ريبكا) . ومع هذا فقد كان (سكوت) يفخر بتلك السرعة ويمجدها !

أما فضله على القصة التاريخية فهو فضل عظيم ، فقد أمدها بروح من عنده وخلع عليها قوة وحياة جعلت قارئها يشعر بفرق عظيم بينها وبين كتب التاريخ ، ولقد دعاه بعض الناقدين (شكسبير النثر) وذلك لما بينه وبين سيد الشعراء من شبه فى التحرر عند اختيار الشخصيات وترتيبها ووصفها . غير أنه تعوزه القدرة على التحليل النفسى الذى امتاز به عصر اليزابث ، وبخاصة شكسبير .

أما أسلوبه فهو قوى متين ، وأما وصفه فهو دقيق ، وفى كتابته جدة وشباب لا يذهب بهما تقادم العهد ، وقد كان (سكوت) عبقريا ، وكان رجل جد وعمل ، وكان مخلصا لصناعة الأدب إخلاص من وهب له حياته ونبوغه . فأصبح جديرا ببقاء اسمه على الزمن خالدا ، وسواء أأحسن إليه الناقدون أم أساءوا فقد ظلت رواياته محبوبة إلى الآن . ومازالت جزءا من الثروة الأدبية التى يفخر بها الميراث الأدبى الأنجليزى .

عبد الرازق حميدة

التربية الاسلامية

للأستاذ محمد على مصطفى
المفتش بوزارة المعارف

مقدمة : معارف العرب فى الجاهلية .

غلبت الأمية على العرب ، فلم تكن لهم علوم مدونة ، ولا فنون متدارسة ، ومبلغ ماوصلوا إليه من العلم لايتجاوز مسائل متفرقة ، اهتدوا إليها بتجربتهم ، أو ورثوها عن آبائهم . أو وصلت إليهم عن الأمم المجاورة لهم : كالبابليين ، والفينيقيين ، والفرس ؛ إذ كانت طبيعة بلادهم تدعوهم إلى الارتحال والنجعة ، وطلب القوت أنى وجد ، فكانوا أهل بداوة ، ورعاة ماشية ، يزدحمون عند موارد الماء ، ويتنازعون مساقط الغيث ، ومنابت الكلأ ، وتشب بينهم الحرب ، فيقتل بعضهم بعضا ، وتملأ الضغينة القلوب ، وتتدابر القبائل ، وتتناثر العشائر ، وتتفرق الأهواء . ولاشك أن حياة كهذه لاتساعد على نشأة العلم ، ولا تدع وقتا للتفكير الهادىء المنظم .

لذلك نجد المأثور عن العرب لايعدو شذرات متفرقة ، مرجعها فى الغالب حدس وتخمين ، أوخيال شارد ، أو تلقين الكبير الصغير ، أوتجربة عملية ، أو أخذ عن الأمم المجاورة .

وقد شملت معارفهم الظاهرات السماوية ، فعرفوا النجوم ومواقعها ، ومنازل الشمس والقمر ، ودرسوا الأنواء ومهاب الرياح ، وأدركوا خصائص كل نوع منها ، وميزوا بين مطير السحاب وكهامه ، واعتقدوا فى الكهانة وزجر الطير ، وبرعوا فى تتبع الآثار ، وتعبير الرؤيا ، وعالجوا مرضاهم بالعزائم والرقى ، والعقاقير والأشربة ، والحجامة والكى ونحوها . وبديهى أن هذه

كلها لم تصل إلى درجة القوانين المضبوطة ، ولم ترتق إلى درجة العلم المنظم .

وقد اقتضت طبيعة الحياة العربية ، وما كان للعرب من صفاء المزاج ، وحدة الذهن ، وقوة الخيال ، وما رزقوه من سماء صافية ، تتلألأ فيها الكواكب ، وأفق واسع — أن يمتازوا بالبلاغة واللسن ، وحسن إيراد الحجة ، وضرب المثل ، والإبداع فى التصوير ، والقدرة على إثارة المشاعر ، واستنهاض همة القبيلة ، للأخذ بالثأر ، ودفع العار ، والذود عن الحياض : فكان ذلك سجيتهم : لا يتكلفون القول ، ولا يظهر فى كلامهم أثر الصنعة ، بل كانت المعانى التى تمليها عليهم البيئة تتوارد على أذهانهم سريعة ، والألفاظ تتسابق إلى ألسنتهم مسترسلة ، ولهذا كانت الخطابة عدتهم ، والشعر ديوانهم ، سجلوا فيه أيامهم ، وفخروا بأحسابهم وأنسابهم ، وأشادوا بذكر أبطالهم ، وصوروا وقائعهم ، ووصفوا رواحلهم وسيوفهم ورماحهم ودروعهم ، وتغنوا بحب أوطانهم .

وكان لهم مجالس عامرة بالأدب ، حافلة بالممتع من القصص ، وأسواق عامرة ، يقيمونها فى أيام معروفة كل عام ، يجتمع فيها مصاقع الخطباء وفحول الشعراء ، يتبارون فى القصيد ، ويحتكمون إلى واحد من العرب ، يقرون له بالزعامة فى فنون الكلام ، فيخضعون لحكمه ، وينزلون عند قوله . حكى التاريخ أن النابغة الذبيانى كان يفد على عكاظ أيام الموسم ، فتضرب له قبة حمراء من أدم ، وتأتيه الشعراء ، فتنشده أشعارها ، حتى إذا اعترف لواحد منهم بالفضل ، كتبت قصيدته بماء الذهب ، وعلقت على جدران الكعبة ، وسميت بالمعلقة على رواية .

وبعد فهذه معارف العرب فى الجاهلية ، فإذا تأملتها وجدتها وليدة البيئة ، وأثر الإقليم والمزاج ، فلم يكن لهم مدارس يتلقون هذه المعارف فيها ، بل كان الغلام ينشأ كما نشأ أبوه ، وليس له فى الحياة غرض ، إلا أن يحصل على

وسائل العيش ، بالطرق المألوفة بين أهله وعشيرته ؛ لذلك تستطيع أن تقول: إن التربية عند العرب فى الجاهلية — إن صح أن يطلق عليها هذا الاسم — كانت تربية فطرية عملية تقليدية ساذجة ، اقتضتها طبيعة الحياة وضرورة العيش.

على أن هناك جانبا آخر للحياة العربية لايصح أن نغفله ، لما كان له من أثر فى تهذيب نفوس الناشئين ، وأخذهم بطائفة من الخلال الطيبة . فقد كان العربى شجاعا ، يأبى أن يضام أو يستباح حرمه ، يذود عن عرضه ، ويدفع عمن استجار به ، كان كريما يعز الضيف ، ويؤثره على نفسه ، فيقدم له آخر مايملك ، حتى كان من عادته أن يوقد النار ليلا بجانب خيمته ؛ ليهتدى بها المدلج فى جوف الليل البهيم ، أو يربط كلبه بالقرب من الحى ، حتى يستروح فينبح . فيسير الأضياف نحوه .

وكان إلى جانب هذا وفيا الى أبعد حدود الوفاء ، عزيز النفس ، شامخا بأنفه ، محبا للحرية ، ذا مروءة ونجدة .

تأصلت هذه الصفات فى نفوسهم ، ففخروا بها ، وراضوا أبناءهم عليها ، وشجعوهم على التمسك بأسبابها ، وتواصوا بها فى شعرهم ونثرهم .

فقد نقل إلينا مؤرخو الأدب ، أن ذا الإصبع العدوانى ، لما حضرته الوفاة، دعا ابنه أسيدا ومحضه النصح وقال له :

« ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريخ ، فإن لك أجلا لايعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك »

وأوصى حصين بن حذيفة بنى بدر فقال:

«اسمعوا منى ماأوصيكم به : لا يتكل آخركم على أولكم ، فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول ، ... واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم ، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزرى بالرئيس المطاع ، وإذا حادثتم فأربعوا ، ثم قولوا الصدق ، فإنه لاخير فى الكذب ، وصونوا الخيل ؛ فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح ؛ فإنها قرون الخيل ، وأعزوا الكبير بالكثير ، . . . وأعجلوا الضيف بالقرى ؛ فإن خيره أعجله .

ويقول المرقش الأكبر :

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة — تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا — إلا أفتلينا غلاما سيدا فينا
إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا — ولو نسام بها فى الأمن أغلينا
إنا لمن معشر أفنى أوائلهم — قيل الكماة : ألا أين المحامونا؟
إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم — حد الظبات وصلناها بأيدينا

وبعد فهذه ناحية من آداب العرب فى جاهليتهم ، وتلك بعض أخلاقهم فى بداوتهم ، رفعتهم إلى ذروة العلياء ، وجعلت جيرانهم يخشون بأسهم، ويرهبون صولتهم ، ولقد جاء الإسلام فعالج سوآتهم ، وزاد هذه الصفات رسوخا فى نفوسهم ، واستقرارا فى قلوبهم ، ثم جمع كلمتهم على الحق، وآخى بينهم، ونصب لهم غرضا يقصدون إليه . ثم استنفرهم إلى حروب الأمم المجاورة ، فنفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم حتى كتب لهم الفوز فى كل مكان ، وذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم .

القراءة والكتابة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا ، بعثه الله إلى العرب خاصة ، وإلى الناس كافة، وأيده بالمعجزة الخالدة ، فأنزل عليه قرآنا عربيا غير ذى عوج ، شرع لهم فيه ماوصى به إبراهيم ونوحا ؛ ولذلك ازدادت عناية العرب بالقراءة والكتابة ،

منذ نزل القرآن الكريم ، فقد كانت الأمة العربية أمية . ولكن ليس معنى ذلك أنه لم يكن من أبناء العرب من يستطيع أن يخط حرفا ، أو يقرأ كلمة ، كما يتوهم من إرسال الحكم على إطلاقه .

والواقع أن الكتابة كانت معروفة فى جهات من شبه الجزيرة العربية كالأنبار ، ومن أهلها تعلم أهل الحيرة ، وعنهم أخذ بشر بن عبد الملك الكندى ، وكان يتردد على الحيرة كثيرا ، وحدث أن ذهب بشر إلى مكة فى بعض شأنه ، فلقيه سفيان بن أمية ، وأبو قيس بن عبد مناف ، فأراهما الخط ، فطلبا منه أن يعلمهما ، فكتبا ، وعلما أهل مكة .

ثم خرج ثلاثتهم إلى الطائف فى تجارة لهم ، وكان فى صحبتهم غيلان بن سلمة الثقفى ، فتعلم الخط منهم ، ثم فارقهم بشر إلى ديار مضر ، فعلم بعض أهلها ، ثم أتى الشام ، فتعلم الخط منه ناس هناك . وكان يتردد على وادى القرى — واد فى شمال المدينة — رجل من طابخة كلب له علم بالخط ، ثم طاب له المقام فى الوادى ، فاتصل به أهله ، وتعلموا عنه الكتابة .

وعلى هذا النحو وجدت القراءة والكتابة طريقا إلى بعض الجهات فى شبه الجزيرة ، حتى إذا جاء الإسلام كان فى بعض القبائل المختلفة عدد قليل يعرف القراءة والكتابة . روى الواقدى عن خالد بن إلياس قال: « دخل الإسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب ، منهم عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ،

روى عن الأصمعى قال :

« أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة ، من أهل الأنبار ، ومن الأنبار انتشرت فى الناس »

وعنه قال :

« ذكروا أن قريشا سئلوا من أين لكم الكتاب ؟ قالوا : من أهل الحيرة . وقيل لأهل الحيرة : من أين لكم الكتاب ؟ قالوا من الأنبار » انتهى .

من كتاب المعارف لابن قتيبة

وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة الجراح ، وطلحة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو العامرى من قريش ، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، وأبان بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وخالد بن سعيد أخوه ، وعبد الله بن سعد بن أبى السرح العامرى ، وحويطب بن عبد العزى العامرى ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية ابن أبى سفيان ، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ومن خلفاء قريش العلاء بن الحضرمى »

وكذلك كان فى الأوس عدة نفر يعرفون القراءة والكتابة ، منهم سعد ابن عبادة ، والمنذر بن عمر ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن خضير ، وبشير بن سعد ، وسعد بن الربيع ، وغيرهم .

وكان من بين هؤلاء من يجمع بين معرفة الكتابة العربية والكتابة العبرية والسريانية ، كزيد بن ثابت الأنصارى ، كاتب الوحى لرسول الله ﷺ ، روى عن خارجة عن أبيه قال « أتى بى إلى النبى ﷺ مقدمه المدينة ، فقيل: هذا من بنى النجار ، وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، ثم أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود ، وقال: إنى لا آمن يهودا على كتابى . فلم يمر بى نصف شهر حتى تعلمته . فكنت أكتب له إلى يهود ، وإذا كتبوا اليه قرأت كتابهم » وعن زيد بن ثابت قال : قال له النبى ﷺ : إنى أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا ، فتعلم السريانية . فتعلمتها فى سبعة عشر يوما » ولذا عده بعض مؤرخى الحضارة الإسلامية أول مترجم فى الإسلام .

وكان إلى جانب هؤلاء وأولئك عدد من النساء يعرفن القراءة وحدها ، أو القراءة والكتابة معا ، فممن عرفن القراءة والكتابة معا الشفّاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب ، حتى روى عن النبى ﷺ أنه قال لها: « ألا

تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة » وكانت الشفاء كاتبة فى الجاهلية، ومنهن أيضا حفصة زوج الرسول ﷺ، وأم كلثوم بنت عقبة، وكريمة بنت المقداد، وكانت عائشة — رضوان الله عليها — تقرأ المصحف ولا تكتب، وكذلك كانت أم سلمة.

وليس هناك شك فى أن الناس فى الجاهلية كانوا يقدرون الكتابة قدرها، يدلنا على ذلك ما كانوا يفعلونه بالقصائد المطولة — إذا نزلت منهم منزلة الاستحسان — من كتابتها وتعليقها على جدران الكعبة، وأنهم كانوا يسمون من يجمع إلى معرفة الكتابة الرمى والعوم « كاملا » وممن أطلق عليهم هذا الوصف سويد بن الصامت، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير، وأكبر الظن أن تعظيمهم للكتّاب واحترامهم لهم، هو الذى دفع عبدالله بن سعد بن أبى السرح، إلى أن يرتد عن الإسلام. ويرجع إلى مكة، ويقول لقريش: إنه يستطيع الإتيان بمثل ما يأتى به محمد، بعد أن أخذ عليه أنه يحرف ما يمليه عليه الرسول، إذ كان يملى عليه الظالمين، فيكتب الكافرين، ويملى عليه سميع عليم، فيكتب غفور رحيم، وأشباه ذلك، ولكنه أسلم بعد ما كان منه من الردة، وولاه عثمان مصر، إذ كان أخاه من الرضاع.

يتبع

محمد على مصطفى

الثقـــــــــافة

للأستاذ عبد الحميد حسن

المفتش بوزارة المعارف

— ٢ —

أجملنا فى كلمتنا السابقة [1] حقيقة الثقافة وأوضحنا أن عناصرها ثلاثة، وهى: المعلومات، والمهارة المقرونة بصقل العقل وشحذ المواهب، واللباقة فى استخدام الحقائق وحسن عرضها. وقلنا إن العنصر الأساسى فى الثقافة هو المعلومات التى أنتجها المجتمع، والذخائر العلمية التى خلفتها الأجيال الماضية وصقلتها التجارب حتى أصبح الالمام بها مما لاغنى عنه فى حياتنا العامة.

فالمثقف يجب أن يكون مصقول العقل صافى المواهب لبقا ماهراً يحسن الصوغ والعرض، ويجب أن يكون ملما بالمعلومات التى لا بد منها فى الحياة وفى تبادل التفاهم بين طبقات المتعلمين.

ولنتجه إلى البحث فى العنصر الثالث وهو المعلومات؛ لنضع لها حدودها، ثم نبحث عن مواردها التى تستمد منها.

***

إن الثقافة صفة اجتماعية فى معظم عناصرها، والمعلومات التى تتطلبها الثقافة هى مما أنتجه المجتمع وارتضاه مما له صلة بالحياة وبالشئون العامة، فهى معلومات ليست بالراكدة، وليست مما هو مهمل فى بطون الكتب وزواياها، ولا من ذلك النوع الخالى من الحياة أو الذى تسير الحياة وشئونها دون حاجة إليه.

---

(١) انظر العدد الثالث من السنة الرابعة.

ولا ننسى أن المثقف يحتاج إلى جانب الالمام بهذه الحقائق إلى مقدرة على الانتفاع بها واستخدامها فى مواطنها استخداما يزيد من نشاط الحياة العامة وينهض بالمستوى العقلى والعملى .

ولعلك تتبين بجلاء ما نقصد إذا أنت استمعت إلى حديث فى مجتمع مثقف وإلى حديث فى مجتمع غير تام الثقافة : إنك تجد فى الأول فنونا من القول صافية ، خالية من الغثاثة ومن الجفاف ، مستمدة من الحياة ، شديدة الاتصال بمرافقها ، تميل بك إلى السمو الفكرى ، وتشعر بأنها خلاصة منتقاة من تجارب الإنسانية ، تنير السبيل للعقل ، وترشد المرء إذا أراد استرشادا ، وتغذى قلبه وعقله بغذاء يبعث النشاط ويجعل الحياة خصبة نابضة .

وتجد فى المجتمع الثانى من الخلط وهبوط ألوان الحديث والتوائها وقصورها ما يجعلك تدرك الفرق بين المثقفين وغيرهم .

تجد فى مجامع المثقفين حديثا ممتعا فى شتى ألوان المعرفة ذات الصلة بالحياة ، وتسمع تجاذب أطراف البحث فى حقائق تحس بأنها ليست مما مجته الحياة ولا مما هو ضئيل القيمة قليل الجدوى ، بل تجد أصولا عامة صحيحة مطبقة على الحياة ، وتلمح من المعلومات ما يمس اللباب فى الشئون العامة ومرافق البلاد .

وإذا تخيلنا مجتمعا مثقفا كالذى نشير إليه ، وكان يضم مثلا المهندس والطبيب والمعلم والقاضى والمحامى والاقتصادى ورجل الأعمال وصاحب المتجر والموظف الإدارى والكتابى وغير هؤلاء ، فإنا نجد من الجميع إلماما بشتى ألوان الحديث . فنجد من المهندس إلماما بالأغذية ومادتها وقيمتها وارتباطها بإنتاج البلاد ، وتجد من الطبيب خبرة بالمدنيات القديمة والحديثة ومراكزها على سطح الكرة الأرضية وصلة بعضها ببعض ، وتجد من المعلم إلماما بالمواد المعدنية فى البلاد ووسائل استخراجها ومدى الانتفاع بها وأثر ذلك فى حياة الشعب ورخائه ، وتسمع من القاضى حديثا فى المبانى وتنسيقها وأنواعها قديما وحديثا وأثر ذلك

فى الذوق السليم وفى حياة الأمة ، وتجد من رجل الأعمال إلماما ببعض الأدباء والكتاب الاجتماعيين والقصصيين ، وهكذا تجد لطوائف المثقفين إلماما بالشئون العامة إلى جانب الإلمام بما اختصوا به من علم أو فن أو مابرعوا فيه من النواحى العملية . وتجد إلى جانب هذا منهم جميعا ميلا إلى قراءة مايجد فى عالم الفن والعلم والأدب .

ورب قائل يقول : وماذا يضير الانسان - إذا هو برع فى ناحية من نواحى العلم أو الفن واستقامت له الحياة فى عمل يشغله — ألا يلم بغيره أولا يستطيع التفكير أو التحدث فى الشؤون التى لاصلة لعمله بها ؟ وما للمهندس والشعراء والأدباء ؟ وماللطبيب والقناطر والسدود وأثرها ؟ ومالرجال الجيش والروايات والقصص وأثرهما ؟ مالكل هؤلاء ولهذه المعارف التى لاتمت إلى عملهم بصلة ؟

قد يقال هذا أو شبهه ممن لايعنون بالحياة الاجتماعية ولايرون فائدة لتفهم الإنسان ماحوله ، ولاينظرون إلى وحدة التفكير وتقارب العقول بين أفراد المتعلمين بمنظار الاهتمام .

على أنا لو تدرجنا فى حوار هؤلاء لوصلنا إلى إقناعهم بأنهم ليسوا على صواب فيما يقولون ، فهم لو بحثوا فيما حصلوا قبل أن يتفرغوا للدراسة الخاصة لعلموا أن الذى أعانهم على التحصيل إنما هو قدر من الثقافة العامة صقلوا به عقولهم واستعانوا به على الدرس والتحصيل ، ولولا هذا القدر من المعارف العامة ما استطاعوا تحصيلا ولا استساغوا علما . ولو كان لهؤلاء فوق هذا نصيب من الثقافة الشاملة والالمام بما أخرج المجتمع من معارف لكانت صلاتهم به أقوى وفهمهم لما يجرى فيه أعم وأوسع ، وقدرتهم على إفادته أتم . هذا إلى ما للثقافة العامة من أثر فى تبادل التفاهم بين طبقات المتعلمين وتتبع مايجد فى الحياة العامة مما يرتبط برقى بنى الإنسان.

إن الحياة ليست مادة فحسب، وليست عيشة انعزال وبعد عن المجتمع وما يجرى فيه، فالإنسان لا تهنأ له حياة إلا إذا تبادل التفكير هو وأفراد المجتمع الذى يعيش فيه وكان بينه وبين طبقات المتعلمين صلة عقلية. فالثقافة من متممات الحياة الاجتماعيه، وهى عون على فهم الشئون العامة وعلى خير المجتمع، والمشرفون على الحياة العقلية والتعليمية فى البلاد هم الذين يوجهون الشعب إلى الوجهة الصحيحة فى الثقافة وإعداد المثقفين.

***

فلنبحث فى موارد الثقافه ومداها:

أما مواردها فهى: المدارس، والحياة العامة، والكتب والصحف والمجلات.

(١) المدارس:

أما المدارس فهى معاهد التعليم والتثقيف، وعليها من واجبات الثقافة نصيب عظيم، وحين نذكرها تتجلى فى الأذهان أهم ظاهرة فيها، وهى المادة العلمية المحدودة فى المناهج، فهى التى اختارها رجال التعليم وارتضاها من فكروا فى المدارس وإنشائها.

ولسنا نريد أن نقصر الغرض من المدرسة على تحصيل المادة العلمية، فالمدرسة إنما هى صورة مصغرة للحياة، وميدان للنشاط العقلى والنمو الخلقى، وعون على إعداد الفرد للحياة. ولكننا ونحن بصدد الثقافة والقدر المختار من المعارف العامة لتحقيق معناها — سنقصر بحثنا على المادة العلمية فى مناهج الدراسة، فهى المظهر الذى ينال عناية الطالب والمعلم، وهى الوسيلة الظاهرة للتحصيل.

ولكى نجلو طريق البحث يجدر بنا أن نحدد الغرض من المدرسة ومافيها من مناهج: أهو الاعداد للحياة؟ أم هو تزويد المتعلم بطائفة من الحقائق العلمية؟ وعلى أى أساس تختار هذه الحقائق؟ أعلى أساس الحاجة إليها فى الحياة؟ أم

على أساس الاستعانة بها على الثقافة ؟ أم على أساس أنها علوم جرت العادة باختيارها أو اختيار عناصرها؟أم أن الاختيار أساسه ضرورة هذه العلوم لمراحل تالية من مراحل التعليم ؟ أم أن الغاية من هذه الحقائق هو شحذ العقل وتغذيته وتنميته ؟أم أنها غاية تجمع بين كل هذا أو بعضه ؟

كل هذه أسئلة تجول بالخاطر حين البحث فى الثقافة، ونصيب المدارس وموادها الدراسية منها ، ولعل مدرسة ما ترى أن الثقافة لا تعنيها ، وأنها إنما تدرس المواد المختلفة لغايات أخرى ، وأن الثقافة يجب أن نتلمسها فى ميدان آخر .

قد يكون شىء من هذا ، وللمدارس أن تحدد وجهتها كما تشاء . ولكننا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن الغرض من المدرسة إنما هو إعداد الفرد للحياة . وإن المواد الدراسية التى تختار فى المراحل الاعدادية من المدارس إنما تختار لأنها عون على إعداد الفرد للحياة . ولأنها لازمة لمعاملة الافراد وتفاهمهم وتعاونهم ، وليس الغرض منها أن نميل بالفرد إلى التخصص فى مادة معينة . فالمعلوم أن مدارسنا الابتدائية والثانوية فى مرحلة الثقافة العامة إنما تعد الفرد إعدادا عاما يشترك فيه من يستعدون للدراسة العالية ومن عساهم أن يتجهوا بعد ذلك إلى الحياة العامة ، ولا بغية لهم سوى الثقافة والاستعداد للعمل فى الحياة. وإن كنا لا نجادل فى أن الذين يذهبون إلى هذا النوع من المدارس فى بلادنا إنما يقصدون إتمام تعليمهم العالى إن ساعدهم الحظ ، والسير فى هذه المراحل التقليدية التى ألفناها رغبة فى الوظائف أو نحوها من المناصب المحدودة .

ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقرر الحقيقة الثابتة أو التى يجب أن تكون ثابتة ، وهى أن الغرض من هذه المرحلة إنما هو الثقافة لا التخصص . اللهم إلا إذا كنا نستكثر على الثقافة هذا الزمن الذى يصرفه الطالب فى المدارس الثانوية فنلجأ إلى مزج مرحلة الثقافة بشىء من التخصص لكى نعده للدراسة العالية فى جميع الفروع .

على أنه مهما تكن الغاية من مرحلة الثقافة العامة فى مدارسنا، فإنه يحق لنا أن نتجه إليها فى تحقيق ماتتطلب الثقافة من القسط المدرسى منها.

فلننظر إلى المناهج فى هذه المراحل على أساس أنها مراحل ثقافة وإعداد عام للحياة. ننظر إليها من حيث أنها الجانب الأساسى فى الثقافة، وإن لم تكن هى الكفيلة بكل ماتتطلب الثقافة، ونتجه فى البحث إلى معرفة ما هنالك من من صلة بين ماتضمنته هذه المناهج وبين الثقافة؛ لنعلم هل هذه الحقائق لازمة للمثقف وللثقافة، وهل قصرت المناهج فيما كان يجب أن تتضمنه مما لابد منه للمثقف، أى أننا سننظر للموضوع من ناحيتين: الأولى إيجابية وهى مااشتملت عليه المناهج، والثانية سلبية وهى ماأهملته:

(ا) الناحية الأولى:

لاننكر أن فى هذه المناهج قدرا من الحقائق التى لاغنى عنها، ولكننا إلى جانب هذا نلاحظ أن طائفة منها قد دونت لالغرض ثقافى، بل تمشيا مع ظاهرة متغلغلة فى مناهجنا، وهى أنها تسير على نمط الكتب المسطورة، وعلى النهج الذى تدون عليه العلوم؛ فهى فى بعض مظاهرها أقرب إلى فهارس الكتب، أو إلى تمثيل التدرج المنطقى فى تدوين العلوم والفنون. ولقد سار واضعو المناهج طبقا لهذا، فاستقر اختيارهم على حقائق ثابتة لم يغيروا منها كثيرا فى الأحوال التى تعاقبت على المناهج وهيأت الفرص للتغيير والتنقيح فيها. وكان جل مايعملون، أن يقدموا موضوعا على آخر، أو أن ينقلوا مبحثا من فرقة إلى أخرى.

ولقد كان الأجدى أن نراعى فى تخير الحقائق فى المناهج مايجب اتباعه من القواعد السائدة فى جميع الممالك، فنسير على حسب عقول المتعلمين وحاجاتهم، وحاجات المجتمع الذى يعيشون فيه، وبذلك نحقق من الأغراض التعليمية والثقافية قسطا عظيما. أما سرد الحقائق العلمية على أساس أنها قد سطرت فى

الكتب وأصبحت من العناصر المتممة لتدوين العلم تدوينا فنيا متماسكا ، فهذا بناء على أساس غير صحيح ، لامن الوجهة التعليمية ، ولامن الوجهة الثقافية ؛ فأصول التعليم تجعل الأساس فى تخير المناهج حاجة الفرد وتغذية عقله وتنمية خلقه وإعداده للحياة ، وحاجة المجتمع والعمل على خيره ورخائه ؛ والثقافة كما رأينا تتطلب تخير الحقائق على أساس فائدتها فى المجتمع ، لا تسلسلها العلمى وتماسكها من جهة فن التأليف والتسطير .

قلنا إن مناهجنا قد سيطرت عليها ظاهرة التأليف العلمى فجعلتها أشبه بفهارس الكتب وأبعدتها عن الوفاء بالغرض التعليمى والثقافى ، حتى أصبح قسط منها عبئا على عقول المتعلمين لايجنون منه نفعا ذا أثر . ولنضرب الأمثلة لما أشرنا إليه :

فى منهج قواعد اللغة العربية نجد البدء بالكلمة ، ثم تقسيمها إلى اسم وفعل وحرف ، وتقسيم كل من هذه أقساما من جهات شتى صرفية ونحوية . نجد هذه الظاهرة فى منهج المدارس الابتدائية وفى منهج المدارس الثانوية كذلك . ولايخفى أن هذا إسراف لايتطلبه الغرض الذى من أجله تدرس القواعد فى هذه المدارس .

ونرى أيضا فى منهج الأدب حرصا على دراسة التاريخ الأدبى لجميع العصور لايفسح المجال لدراسة الأدب نفسه والاستفادة منه .

وفى منهج التربية الوطنية تتجلى ظاهرة التسلسل العلمى . فترى البدء بالمجتمع ، ثم الأسرة ، ثم الأمة ، ثم الدولة ، مع التعرض فى خلال ذلك لنقط من البحث هى أشبه بعناصر لكتاب مؤلف ، ولو اقتصر على مايجب أن يعرفه الفرد من المعلومات المتصلة بالمجتمع وبالحياة لكان أجدى .

وفى منهج الجغرافية نلمح الحرص على دراسة القارات جميعها دراسة تتضمن من التفصيل فى الجغرافيا الطبيعية وغيرها ماليس بينه وبين حياة الطالب المصرى

كبير اتصال ؛ فنرى مثلا دراسة استراليا وجزائر المحيط الهادى من حيث التضاريس والمناخ والأقاليم النباتية والطبيعية ، ونجد مثل ذلك فى أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى وفى آسيا وأفريقية،ونجد إلى جانب ذلك دراسة الأقاليم الطبيعية الرئيسية ، وأهم مميزاتها فى جميع هذه القارات ، مع العناية بدراسة أقاليم خاصة فيها والاشارة إلى ما فيها من وسائل النقل والأقسام السياسية التى يشملها كل إقليم .

ولا نظن أن الطالب المصرى يحتاج فى حياته إلى كل هذا التفصيل ، ولعله أشد حاجة إلى الافاضة فيما يتصل بحياتنا منه .

ونرى فى التاريخ مثل هذه الافاضة ، وكذلك فى بعض المواد الأخرى .

(ب) الناحية الثانية :

وهى ما أهملته المناهج ، وإنا نرى إلى جانب التفصيل الذى أشرنا إليه فى بعض المواد الدراسة أو معظمها أن المناهج لا تكفل للطالب الالمام بأمثال الموضوعات الآتية :

الشركات الأجنبية فى مصر — الشركات المصرية — المصارف المالية وعملها وأثرها — المصانع الأجنبية فى مصر — الفنادق — المطابع ومسابك الحروف — المعادن فى مصر واستخراجها — العقاقير الطبية وشركاتها — الحفر على المعادن — الجمعيات العلمية فى مصر — المياه المعدنية — الأجانب فى مصر وحياتهم وأعمالهم — الملاجىء — البواخر المصرية — إلى غير ذلك .

ولعل القارىء يرى أن هذه الموضوعات وأشباهها مما يجدر بالمتعلم أن يلم به ، فإذا كانت المواد الدراسية تتحمل البحث فيها فالأجدى أن نؤثرها على غيرها وإذا لم تكن فمن الميسور أن نتحين لها الفرص ، ولا يثنينا عن تخيرها أنها ليست من العناصر التى ألفنا اختيارها من مباحث العلوم ، اللهم إلا

إذا تمسكنا فى وضع المناهج بتلك الظاهرة التى أشرنا إليها ، وهى السير طبقا للكتب وفهارسها ، والعلوم وعناصرها المدونة تدوينا متماسكا .

على أن عدم تماسك هذه المباحث تماسكا تأليفيا قد يكون من الأسباب التى تدعونا إلى اختيارها مادامت متصلة بالحياة ، وذلك أن من الطرق الحديثة للتعليم الآن « طريقة المشروع » وهى طريقة لاتسير فى التدريس طبقا لتبويب العلوم وفصل موضوعاتها بعضها عن بعض ، بل تبعا لتماسك المعلومات وارتباطها بالحياة ، واتصالها بالموضوع الأساسى الذى اختير للمشروع . فهل لنا أن نرى مثل ذلك فى منهج القسم الابتدائى ومنهج القسم الثانوى ؟

هذه هى مناهجنا ، ولعلنا مقتنعون بأنها فى حاجة إلى التغيير ، لا على أساس التقديم والتأخير والحذف فى أجزائها وموضوعاتها ، بل على الأسس التعليمية السليمة التى تكفل التربية الصحيحة ، وذلك بابقاء النافع المتصل بالحياة منها ، وإضافة ماتتطلبه بيئتنا ، مع اجتناب ذلك التكديس الذى لايجنى منه سوى الإرهاق ؛ وبهذا نحقق للحياة معناها ، وللدراسة والتعليم غايتهما الصحيحة ، وللثقافة نصيبها الذى يجب أن تقوم به معاهد التعليم .

ولعلنا لو خلصنا المناهج من هذا التكديس غير المجدى ، لظفرنا بقسط من الزمن نستطيع أن نشغل الطلاب فيه بالبحث الشخصى والاطلاع المقرون بالرغبة ، وأن نملأه بموضوعات عامة يجد المتعلم فيها ميدانا حرا فسيحا ، فتزداد رغبته فى القراءة ، ويعتاد ذلك بعد إتمام دراسته وفى أوقات فراغه ، وبهذا نعالج نقصا لايزال فاشيا بين أكثر المتعلمين ، وهو النفور من القراءة والاطلاع ، ونؤدى واجبا تعليميا يرى الجميع أن المدارس ونظم التعليم هى التى تتحمل تبعته ، وهو غرس الميل إلى القراءة فى المتعلمين .

(٢) الحياة العامة :

لسنا فى شك أن الحياة العامة لها شأن فى الغذاء الثقافى ؛ فالبيئة وما فيها من أحاديث حيوية ومحاضرات علمية ومغريات بالتسابق إلى الاطلاع والميل إلى البحث ، والمجتمع وميوله ونظامه فى صرف أوقات الفراغ فى المنزل وفى خارجه، والملاهى وأنواعها ، والحفلات العامة وغير ذلك ، كل هذا من عوامل صقل الحياة وإنهاضها والسمو بالمعارف العامة للشعب وبمعلوماته .

وإن ترقية هذا الجانب من حياتنا المصرية يتطلب عناية المصلحين من رجال الاجتماع والتربية ، والاهتمام بهذه الناحية لايقل أثرا عن الاهتمام بالمناهج ولجانها ودور التعليم وأدواتها وكتبها .

(٣) الكتب والصحف والمجلات والروايات :

أو بعبارة أخرى المؤلفون والكتاب : فهؤلاء هم قادة الفكر وحافزو الهمم ، وهم الذين يمدون الحياة العقلية بمايزيدها خصبا ، ويوجهون أفراد الشعب إلى مايزيد ثقافتهم وينهض بأذواقهم ويحبب إليهم القراءة فيقضون أوقات الفراغ على خير الوجوه .

وللمؤلفين والكتاب شأن فى تمصير ثقافتنا، وإنهاض أدبنا القومى المصرى، وتنشيط الحياة العقلية والفكرية. وهذا مما يجعل أثرهم عظيما؛ وإن العناية بهم وبتشجيعهم تتطلب من أولى الشأن فى البلاد جانبا من الاهتمام لتجنى البلاد ما تنشد من خير

***

وبعد فإن منابع الثقافة فى مصر تتطلب إصلاحا ونهضة على الأسس التى سارت عليها الأمم التى نترسم خطاها فى الثقافة .

وإنا لنرقب أن ينشط هذا الإصلاح نشاطا شاملا، حتى يكون لهذا البلد ثقافة مطبوعة بالطابع القومى وذلك بما يبذل قادة الرأى من همة وعزم صادق فى هذا الشأن .

عبد الحميد حسن

حـــول تبسيط

القراءة والكتابة ولغة التخاطب

ألقى هذه المحاضرة

الأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد

بالقاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

خصومة علمية تلك التى دارت رحاها هذا العام بين فريق من الأدباء ورجال اللغة ، يرى فى النحو العربى وقواعده كما وصل إلينا فى كتب المتقدمين من النحاة ، وكما تواضعت عليه مناهج المعاهد المصرية ، « فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويسرفوا فى الافتراض والتعليل ، وإسرافا فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات ، وإمعانا فى التعمق العلمى باعد بين النحو وبين الأدب » . ويرى هذا الفريق ضرورة إحياء النحو وتبسيطه أو تيسيره — وبين فريق آخر من الأدباء واللغويين حريص على استبقاء تراثنا النحوى بفلسفته واصطلاحاته ؛ لما لهذا التراث من حرمة تاريخية وصلة بلغتنا وآدابنا وكتبنا المقدسة . ولأننا نحن المتأخرين لا نملك حق تغيير ما نص عليه المتقدمون من جمهرة النحويين وعلماء اللغة الذين هم أقدر منا على فهم النحو وأسراره وفلسفته. وبين هذا الفريق وذاك فريق وسط يرى أن نحافظ على القديم بقدر ما تظهر صلاحيته ، وإلا هذبنا منه بما لا يغير من جوهره ولا ينبو عن متعارفه .

ومحاضر الليلة ينزل لأول مرة الميدان الاجتماعى فى مصر ، وله من شبابه

وتجاربه المحدودة ما يغفر له سهوه أو خطأه ، وهو لاينتمى إلى هذا الفريق أو ذاك وإنما ينشد الحقيقة لذاتها بقدر ماتسمح به معرفته باللغة العربية مزودا بشىء من الثقافة الأوربية ناله خلال سبع سنوات أمضاها فى دراسات مختلفة فى التربية وعلم النفس واللغات الشرقية والغربية . فإن أصبت فبها ونعمت وإلا فيكفينى خلوص النية .

لا تلم كفى إذا السيف نبا صح منى العزم والدهر أبى

لاأريد هنا أن أعرض لتعريف النحو أو الصرف ، ولا لاختلاف النحاة فى أنهما علمان مستقلان أو علم واحد . فلا أعتقد إلا أن حضرات سامعى الكرام على علم بما قيل فى تعريف النحو والصرف ، غير أنى سأكتفى فى حديث الليلة بذكر كلمة « النحو » كلما قصدت النحو والصرف معا أو أحدهما .

أعرف النحو بأنه الوسيلة للقراءة الصحيحة ، والتخاطب الصحيح، والكتابة الإنشائية الصحيحة . وأقصد بالصحيح ماهو متفق عليه بين متكلمى اللغة وعارفيها . وإذاً فكل مايهمنا من دراسة النحو أن تكون قراءتنا صحيحة ، وأن نتخاطب بعبارة صحيحة ، وأن نكتب كتابة إنشائية صحيحة ، ومتى وصلنا إلى هذه النتيجة فقد أدى النحو مهمته ، ولو أن هناك نوعا من السحر أو التعاويذ يمكننا من القراءة الصحيحة والتخاطب الصحيح والكتابة الإنشائية الصحيحة — لاستغنينا عن النحو وفلسفته ومصطلحاته، ولكفينا أنفسنا شر الجدل والنقاش.

ولنبدأ إذاً بالقراءة الصحيحة لنعرف إلى أى حد نحن موفقون فيها ، وما هى عوامل الضعف ، وكيف نمحو هذه العوامل .

تمتاز اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية بأن لأحرف العلة فيها — أعنى الواو والياء والألف — قيمتين صوتيتين : القيمة الصوتية الكاملة، والقيمة الصوتية النصفية . فاذا قلت « ينام » فإن للألف بعد النون فى « ينام » قيمتها الصوتية العلمية الكاملة . وإذا قلت « لم ينم » فإن هناك أيضا بعد النون فى ينم

حرف علة له قيمته الصوتية ولكنها نصف قيمة الألف فى « ينام » . ولذلك سميتها مؤقتا فى محاضرتى هذه « حروف العلة ذات القيمة الصوتية النصفية » . وتعارف علماء مخارج الحروف والقراءة والنحو على أنها حركات : حركة الفتح وحركة الضم وحركة الكسر .

فلنتقبل إذاً هذه التسمية ، ولنذكر دائما أن لكل حركة نصف القيمة الصوتية لحرف العلة الذى تمثله . ولست أستطيع أن أزعم أو أن أؤيد زعما بأن حروف العلة وجدت قبل الحركات أو العكس ؛ فمثل هذه الفروض لا تجدى ولا حاجة لنا بها هنا . وإنما يهمنى أن أذكر أن هذه الحركات — ويضاف إليها السكون — لها فى الإملاء العربى رموز تعبر عنها ، فهذا رمز الفتح ـَ ، وهذا رمز الكسر ـِ ، وهذا رمز الضم ـُ ، وهذا رمز السكون ـْ .

وقد اتفق واضعو الشكل على أن يكون الرمز فوق الحرف أو تحته . فلو أننى أستبيح لنفسى أن أكتب كلمة « ينام » كما أنطقها وبالحروف اللاتينية مثلا كما اصطلح عليه فى علم الأصوات Phonetics لمثلتها هكذا yanàm ، ولمثلت جملة لم ينم هكذا lam yanam . ولو حاولت محاكاة هذا النظام الإملائى الصوتى واستعملته فى لغتنا العربية فعوضت بدل الفتحة رمزا حرفيا خاصا يكتب بعد الحرف الصحيح ، وبدل الكسرة أيضا رمزا حرفيا آخر ، وكذلك الحال فى الضمة ، واستغنيت عن السكون إطلاقا فلم أجعل له رمزا ، لأمكننى إذاً أن أكتب العربية بحيث يستطيع كل قارىء أن يقرأها صحيحة متى قرأ بعناية .

ولكن لم أفترض وضع رموز للحركات بعد الحروف الصحيحة ، وقد اتفق علماء الشكل على وضع هذه الرموز فوق الحروف أو تحتها لا بعدها ؟ وأصبحت هذه خاصة من خواص الكتابة الإملائية العربية — كما هى الحال أيضا فى العبرية والسريانية — وإذاً أستطيع أن أقول لو أننا نستعمل دائما هذه الرموز

المسماة بالشكل فى كل مطبوعاتنا أو حيث يحتمل اللبس أو الخطأ — لأمنا الخطأ النحوى واللغوى فى القراءة . وهنا أتساءل : لم لا نتخذ نظام الشكل فى كل مطبوعاتنا وكتبنا وبخاصة ماهو منها فى متناول الأطفال حتى نسهل عليهم مئونة القراءة الصحيحة ؟ أليست الحركات جزءا من نطق الكلمة ؟ فما هو اذا ذلك التعسف التقليدى فى كتابة الحروف الصحيحة وحروف العلة فقط وإهمال حروف العلة « ذات القيمة الصوتية النصفية ؟ على أننى أستطيع أن أؤكد لحضرات السامعين أن التلاميذ فى مدارسنا المصرية لا يجدون الآن صعوبة فى القراءة الصحيحة مادامت الكتب مشكولة . ومايقع من خطأ فى القراءة إنما هو نتيجة إهمال وعدم عناية من القارىء . وإذا فليس للنحو أو قواعده ذنب فيما يقع فيه القارىء من خطأ نحوى أو لغوى ، وإنما الذنب هو ذنب الوضع الإملائى والشكل فى لغتنا . ذلك الوضع الذى أصبح من مميزات لغتنا (١) .

وبعد ، فلو أننا نجحنا فى أن يكون كل ما يقرؤه الطفل أوجله مشكولا لكسبنا نصف المعركة ؛ ذلك لأن تعود القراءة الصحيحة منذ الصغر يعين على الكتابة الصحيحة والتخاطب الصحيح فينشأ الطفل وقد نما عنده شعور مكتسب بالتعبير النحوى الصحيح . ذلك الشعور الذى يقوى حتى يصير عادة لها أثرها فى صحة الكتابة والتخاطب .

ولننتقل إذا إلى التخاطب الصحيح (أعنى نحويا) . ومشكلة لغة التخاطب ليست قاصرة على العربية،فهى مشكلة فى كل اللغات ،غير أنها تختلف قوة وضعفا بأختلاف عوامل سأعرض لها بعد هنيهة . والذى أريد أن أقرره هنا هو أن لغة التخاطب بين الفلاحين الفرنسيين أو الإنجليز أو الألمان تختلف كثيرا

(١) نشرت الصحف بعد إلقاء هذه المحاضرة أن مجمع فؤاد الأول اللغوى كون لجنة من أعضائه لبحث وضع نظام إملائى يمكن أن يستغنى به عن الشكل مع الاحتفاظ بالحروف العربية .

عن اللغة الأدبية لغة الكتابة الانشائية . ويظهر هذا الاختلاف فى نطق الكلمات ، واستعمالها ، وتطبيق القواعد النحوية . وإننى لأذكر ماسمعته مرةمن فلاح إنجليزى زرته ذات يوم فوجدته فى حجرة الجلوس مع ابنه وبيده كتاب مطالعة وهو يشير بإصبعه إلى صفحة فى الكتاب ؛ فسألته ماذا يعمل مع ابنه فقال : Ilearn'm يقصد بذلك Iteach him فاستعمل كلمة Learn بدل teach وكذلك يستعمل الإنجليزى العادى فى لغة حديثة عبارة Ihave not got notbing يريد Ihave notbing . ويظهر الخطأ النحوى متفشيا بين الفلاحين والعمال الألمان لأن النحو الألمانى يشبه فى صعوبته النحو العربى . ولذلك قل أن يستعمل العامل الألمانى فى لغة التخاطب الإضافة الصحيحة Genativ أو يحافظ على عمل الحروف (كحرف الجر مثلا) أو يعرف استعمالها الصحيح فهو يقول مثلا Ich gehe nach den Eltern فيستعمل nach بدلا من zu .

ومشكلة لغة التخاطب عندنا هى من نوع هذه المشكلات المعروفة فى اللغات الأخرى مع الفارق العظيم ، وهو أن لغة التخاطب فى العربية تختلف جد اختلاف عن لغة الكتابة الإنشائية ؛ فى نطق الكلمات واستعمالها ، بل فى النحو وهو مايهمنا هنا . على حين أن الفرق بين لغة التخاطب ولغة الكتابة فى اللغات الأخرى ضئيل جدا بالنسبة لذلك الفرق فى اللغة العربية . هذا إذا لاحظنا أن نحو اللغات الأخرى سهل جداً إذا قورن بالنحو العربى .

ومما لااختلاف فيه هو أن لغة التخاطب فى العربية قدأهملت النحو إهمالا تاما ، وأصبح فهمها لايحتاج إلى نحو . بل قد أصبحت فيها استعمالات خاصة لنفى اللبس فى الفهم؛وذلك كشيوع الجملة الاسمية بدل الفعلية،مثال ذلك :«القطر قام بدل (قام القطر) ، الأولاد رجعوا من المدرسة ، النجار جه ، العربجى عاوز الفلوس ، القلم انكسر» . وفى كل هذه الجمل نلاحظ استعمال الجملة الاسمية بدل الفعلية . ولعل السبب فى شيوع الجملة الاسمية هو الإشارة إلى أن الاسم

هو المتحدث عنه والمقصود فى العبارة، ولتفادى اللبس الممكن فى بعض الأحيان كما فى جملة (الخدام ضرب البواب) فلو استعملنا الجملة الفعلية مع إهمال النحو لقلنا (ضرب الخدام البواب) ولكان فى هذا الاستعمال ما يحتمل أن يكون الضارب (الخدام أو البواب)

ومهما يكن من الأمر فإن سبب هذا الفرق العظيم بين لغة التخاطب ولغة الكتابة الإنشائية فى العربية، وبالتالى إهمال النحو فى لغة التخاطب، هو الأمية السائدة فى الشعوب المتكلمة بالعربية، وجهل الأسرة بالقراءة والكتابة، وإذا فليست هناك وسيلة لنشر اللغة العربية الصحيحة واستعمال النحو فيها وإحلالها محل العامية لتكون لغة التخاطب، مادام الأمى لا يستطيع القراءة ولا يسمع إلا اللغة العامية، وإنا لنرى أولئك الذين ينالون قسطا من التعليم الأولى أو الابتدائى، لا يلبثون أن يطمسوا فى المنزل معالم ما تعلموه فى المدرسة من عبارات التخاطب الصحيحة. ولذلك فإن جهود المدرسين المبذولة لإحلال اللغة الصحيحة محل لغة التخاطب العامية لم تنتج الإنتاج المنتظر منها.

ولكن هب أن عندنا أسرة متعلمة أخذت على نفسها أن تتكلم العربية الصحيحة لغة ونحوا، ورزقت هذه الأسرة ولداً ذهب إلى المدرسة حيث لا يسمع إلا التخاطب بالنحو الصحيح، وحيث لا يقرأ الا صحيحا، إذاً لشب ذلك الولد يتكلم بالنحو الصحيح.

وبعد هذا المثال أستطيع أن أقول إن إهمال النحو العربى فى لغة التخاطب أو الخطأ النحوى فيها لا يمكن أن نعزوه عزوا كليا إلى صعوبة النحو العربى وفلسفته وإمعان النحويين فى التعمق العلمى فيه.

على أننى لا أشك مطلقا أن استعمال النحو الصحيح فى لغة تخاطبنا ينمو يوما بعد يوم، وهو أكثر شيوعا بين طبقات المتعلمين منه بين من هم دونهم من الطبقات الأخرى. واستعمال النحو فى لغة التخاطب ليس أثرا لتذكر المتكلم

قاعدة النحو وتطبيقها كلما تكلم، بل هو نمو تدريجي وعادة مكتسبة ككل العادات الاجتماعية التي يحتاج الفرد في تكوينها أولا — كما يقول علماء النفس — للنية والعزم والانتباه والتكرار، ولكن بمرور الزمن تصبح طبيعة ثانية.

والآن وبعد معالجة ناحيتي القراءة الصحيحة والتخاطب الصحيح، أجرؤ على استنباط النتيجتين الآتيتين:

النتيجة الأولى: ليس ضروريا للقراءة الصحيحة في العربية أن يعرف القارىء قواعد النحو ومصطلحاته كما وصلت إلينا في كتب المتقدمين، مادامت الكتب مشكولة.

النتيجة الثانية: يمكن أن تكون لغة التخاطب صحيحة نحويا إذا نشأ المتخاطبون في بيئة من اللغة العربية، سليمة من الخطأ النحوي، سواء أكانت تلك البيئة في المدرسة أم في خارجها. غير أن تعلم قواعد النحو ليس كافيا للتخاطب الصحيح.

ولما كانت سلامة البيئة من الخطأ النحوي مستحيلة الآن، فقد دعت الحال لتعلم النحو كوسيلة للتخاطب الصحيح نحويا.

للمحاضرة بقية

عبد العزيز أمين عبد المجيد

المنظـــــــار

مسرحية من ثلاثة فصول ألفها الكاتب الإنجليزى
« سدنى جرندى .Sydney Grundy » وقدمت
إلى مسرح جارك «Garrick theatre»
فى لندن سنة ١٨٩٠

ترجمة الأستاذ عبد العزيز عتيق

الفصل الثانى

المنظر :

١ — نفس المنظر السابق . فى الصباح التالى يدخل الخادم « جويس » متقدما « دك » إلى الحجرة .

جويس : سأخبره ياسيدى أنك هنا ، ولكنه لم يستيقظ بعد .

دك : لم يستيقظ ؟ إلى هذا الوقت ؟

جويس : وكذلك سيدى ، لقد تناول كل منهما طعام الصباح فى الفراش . لقد أكل والدك بشوق وشره ، أما سيدى فلم يذق شيئا !

دك : أسهرا كثيرا ليلة أمس ؟

جويس : نعم ، كانا فى الخارج طول المساء ، إن سيدى فى هذا الصباح يبدو منحرف المزاج ، متغير الطباع . لقد كان مظهره وهو ينهض من الفراش يدل على أنه لم ينم كثيرا . أما السيدجريجورى — والدك — فيبدو فى هذا الصباح مرحا جدا .

دك : ومسز جولدفنش ، أين هي ؟

جويس : فى الكنيسة ، إنها تذهب دائما إلى الكنيسة فى يوم الأربعاء .

دك : حسن . سأنتظر «يخرج جويس» والدى مرح جدا فى هذا الصباح؟ أذلك صحيح ؟ سأجرب حظى معه ، قد يتحمل ديونى ويدفعها لو كان مرحا حقا . ولكن بالعجب ماذا جرى ؟ «يدخل جريجورى» صباح الخير ياوالدى !

جريجورى : خيرا ، ماذا تريد ؟

دك : لقد أتيت لأحيي والدى فقط .

جريجورى : ماذا ؟ أمشيت كل هذه المسافة لتحيي والدك فقط ؟

دك : «على حدة» يظهر أنه غير مرح !!

جريجورى : كم تضيع وقتك ! أصغ إلىّ . الوقت من ذهب ، وكل من يضيّع وقته يضيّع ذهبا . لا تفعل ذلك مرة أخرى

دك : ولكنّ لى عملا فى هذا الشارع .

جريجورى : عمل ! إذا كنت قد أتيت لعمل فالأمر جد مختلف . أتقبض من هذا العمل شيئا ؟

دك : أرجو ذلك كثيرا .

جريجورى : إذاً هات يدك . لا يمكنك أن تأتى فى وقت أحسن من هذا الوقت. إننى مرح جدا هذا الصباح .

دك : «على حدة» ترُى ماذا قد سرّه ؟

جريجورى : لقد كسَبت رهانا فى الليلة الماضية . نعم وقد أعطيت عمك درسا لم يُشفَ منه حتى الآن . ها ، ها !!!

دك : أكنتما تلعبان الورق ؟

جريجورى : الورق ؟ ومتى عرفت ذلك عن والدك ؟ إننى لا ألعب الورق ؟

دك : آه ، عفوا ياوالدى !

جريجورى : لقد أخبر شخص عمك فى خطاب بقصة طويلة عن الحياة فى نهاية سلم

دك : نهاية سلم ؟

جريجورى : نعم ، مع أب أعمى ، وأم كسيح . لقد راهنت على أن هـذه القصة غير حقيقية .

دك : وكيف اكتشفتما الحقيقة ؟

جريجورى : قصدنا المكان لنكتشف الحقيقة . إن الأبله قد أعطى عنوانه ؛ لم يكن العنوان الصحيح ، ولكنه كان قريبا جدا من العنوان الحقيقى . ولهذا وجدناه .

دك : فى نهاية السلم ؟

جريجورى : كلا ، ولكن فى الدور الأول . لقد فتحت الباب فجأة ، وهناك رأيناه يشرب ويلعب الورق مع ثلاثة أصدقاء ؛ لقد كاد يغمى على عمك من هـذا المنظر ؛ لابد أنك رأيته ؛ لقد ألقى بمنظاره الذهبى على الأرض وكسره ؛ لهذا أعرته منظارى .

دك : والأب الأعمى ؟

جريجورى : كان سكيراً أعمى . هذا كل ما فى الأمر .

دك : والأم الكسيح ؟

جريجورى : لم نعثر لها على أثر .

دك : وماذا قال عمى ؟

جريجورى : قال : « بزارد ، سائق القديم ؟ » لم يزد على هذا ، لقد أرتج عليه .

دك : وماذا كسبت من هذا الرهان ؟

جريجورى : لاشىء أكثر من عشاء فاخر فى مطعم « سمبسن » لم يذق عمك الطعام ، ولهذا تمتعت بأكلة طيبة !

دك : الرحمة لعمى المريض .

جريجورى : لاشك أنه مريض من جراء هذه الصدمة ؛ إن ماحصل يابنى درس لمن يسمح ليده أن تمتد إلى جيبه كثيرا . يجب أن تتعلم من الدرس الذى أعطيته لعمك . أصغ «يادك».

دك : هأنذا مصغ .

جريجورى : لنشكر الله على أن أعطاك أبا مثلى . لقد استوليت على كل مافى الأسرة من عقل وذكاء .

دك : نعم ياوالدى، إنى أشكر الله كثيرا على ذلك

جريجورى : والآن بخصوص العمل

دك : أى عمل ؟

جريجورى : عملك .

دك : نعم ، إن لى موكلا فى هذا الشارع

جريجورى : كنت أظن أن موكليك يأتون إليك !

دك : هذه قاعدتى ؛ ولكن هذا مستثنى .

جريجورى : إذاً يجب أن تطلب منه أنت أيضا أتعابا استثنائية .

دك : من غير شك . سأطلب

جريجورى : كم؟

دك : جنيهين .

جريجورى : أرنيهما .

دك : لم آخذهما بعد .

جريجورى : قل لى ما العمل ، لأعرف هل طلبت منه أتعابا كافية فى نظير الحضور إليه أم لا .

دك : «يتحدث إلى نفسه» فكرة حسنة ؛ سأخبره بحالى ومركزى الحرج فى صورة قضية

جريجورى : والآن

دك : قضية عائلية ؛ إن موكلى رجل صغير ، مثابر مجد ، وأمين مستقيم

جريجورى : مثله يكوّن ثروة

دك : وأبوه لا يظهر أى انعطاف نحوه ، ولا عجب فأحسن الآباء من لا يظهر لابنه الحب والحنو . وهذا الأب كريم . . . كريم بالنصائح والوصايا الذهبية ، غير أن أفكاره فى باب الاقتصاد وجمع المال صعبة قاسية

جريجورى : ينبغى أن يشكر على ان رُزِق أبا كهذا

دك : إنه شاكر ، ولكنه لسوء الحظ وقع فى دين صغير .

جريجورى : وقع فى دين ؟

دك : ليس كبيرا ، إنه مائتا جنيه فقط .

جريجورى : أخبر موكلك أنه مجرم صغير . من العار أن يكون ابنا لمثل هذا الأب العاقل !

دك : رويدا ياأبى ، فهناك كلام يجب أن يقال .

جريجورى : كفى كفى ! لا شىء يجب أن يقال بعد هــذا . لو كان ذلك ابنى لأجبرته أن يقضى بقية أيامه فى ماجأ . ألسنا متفقين ؟ أليس موكلك مجرما صغيرا . . . ؟

دك : حسن . . .

جريجورى : أتوافقنى على أنه مجرم صغير ؟

دك : نعم . . . إنه مجرم

جريجورى : إذاً هات يدك .

دك : « على حدة » يجب أن أحاول معه مرة أخرى فيما بعد .

جريجورى : أنت محاميه وناصحه ، فأخبره أنه مجرم ، وطالبه بجنيهين أتعابا لهذه النصيحة .

دك : أتظن أن هذا المبلغ يكفى ؟

جريجورى : هذا إذا لم تقدر أن تحصل على أكثر . والآن اذهب لتراه . تسلمْ المبلغ وأحضره إلى حجرتك أولا ، سآتى للغذاء ، ولألق نظرة على أثاث منزلك ، لاتنسَ .

دك : متى تأتى ؟

جريجورى : فى الساعة الواحدة .

دك : إذا صباح الخير ياوالدى .

جريجورى : دك ، كم أنا مسرور منك . إنك شهادة لى أفتخر بها . إنك مستشار عاقل ، كما إنك ماهر فى جمع المال . هات يدك . صباح الخير .

(يخرج دك فى حزن)

(يدخلُ جولدفنش شاحبا منقبضا . فى الفصل الأول كان لابسا منظاره ذا الاطار الذهبى ، ولكنه منذ هذا الحادث ، وبعد أن كسر منظاره الذهبى ، يلبس منظار أخيه جريجورى ، هذا المنظار ذا الاطار الأسود ، وقد غير هذا المظار معالم وجهه — ينظر إلى أخيه نظرة جامدة دون أن يبتسم) .

جريجورى : «حينما جلس جولدفنش» والآن كيف حالك .

جولدفنش : لست حسنا اليوم .

جريجورى : يظهر أن ماحصل البارحة لايتفق مع ميولك .

جولدفنش : لقد تأخرنا الليلة الماضية خارج المنزل طويلا — وليس ذلك من عادتى .

جريجورى : وكيف تمتعت بالمسرح ؟

جولدفنش : لم أتمتع بشىء مطلقا .

جريجورى : لاشك أنك متأثر قليلا بما حدث . ألا رسائل جديدة عن آباء عمى في هذا الصباح ؟

جولدفنش : جريجورى !

جريجورى : ولا عن أمهات كسيحات ؟ آه ! يظهر أنك لاتحب الكلام فى هذا

جولدفنش : إن « بزارد » رجل منافق . وماذا يكون؟إنه أحد الطيور الشرهة!

جريجورى : كلهم متشابهون . إنى أعرفهم .

جولدفنش : هل دفعتُ ثمن العشاء ؟

جريجورى : نعم ، لقد خسرتَ الرهان ودفعتَ .

جولدفنش : جريجورى ، أرجوك ، لاتتكلم كثيرا عن هذا الموضوع . لقد قطعت الأمل من السائق .

جريجورى : لقد كان عشاء فاخرا ، كم دفعت ؟

جولدفنش : لا أتذكر .

جريجورى : لاتتذكر ؟

جولدفنش : نعم . فأنت الذى أمرت بإحضاره .

جريجورى : ولكنك دفعت ثمنه !

جولدفنش : لم أنظر فى قائمة الحساب . آه هاهى ذى القائمة ، لاتزال معى . جنيهين ونصف جنيه.

جريجورى : جنيهين ونصف جنيه ؟ هذا كثير جدا.

جولدفنش : هاهنا الأصناف . سمك . خمسة قروش .

جريجورى : لم آكل سمكا !

جولدفنش . ربما كنتُ أنا .

جريجورى . أنت لم تأكل شيئا !

جولدفنش . غلطة ! ربما لم أقرأ القائمة صحيحا . لستُ معتادا على منظارك ، وعلى أى حال فالأشياء تبدو مختلفة من خلال هذا المنظار

جريجورى : غلطة ؟ إننى أسمى ذلك سرقة .

جولدفنش : ياللعجب ، لقد أكرمتُ هذا الخادم كثيرا ، فقد ظل يخدمنى مدة طويلة ، ومع ذلك فالمسألة كما ترى ؟ سمك بخمسة قروش ! !

جريجورى : ألم أخبرك أنهم جميعا متشابهون ؟

جولدفنش : رباه من يقدر على تصديقه ؟ خادم مائدتى القديم ! أيجب أن أقطع الأمل من الخدم كما قطعته من السائق ؟

جريجورى : لقد اعتدت قبل دفع أى شىء أن أراجعه أولا . وغير هذا فإنى لا أترك مشروبا فى خزانة الشراب ، فمن المحتمل أن يخوننى ويدهشنى أنك تترك شرابك طليقا فى أيدى الخدم !

جولدفنش : إن خادمى « جويس » قد استمر معى عشر سنوات ، وإنى لآتمنه على حياتى .

جريجورى : ليس على زجاجة نبيذ ! إنهم جميعا متشابهون كما أخبرتك . يظهر أنك أبله !

جولدفنش : جريجورى !

جريجورى : لقد أثبتَّ البلاهة . أثبتَّها تماما على نفسك .

جولدفنش : كيف ؟ وبأى طريقة ؟

جريجورى : ألم تتزوج فتاة صغيرة؟

جولدفنش : ذلك دليل على عقلى الناضج .

جريجورى : ها ، رجل عجوز مثلك !

جولدفنش : رجل عجوز . لست عجوزا جدا .

جريجورى : لن ترى الستين أبدا .

جولدفنش : ولكنى سأرى الخامسة والستين إذا عشت .

جريجورى : نعم ، وهى ستراها أيضا .

جولدفنش : ماذا تعنى ؟

جريجورى : أعنى أنك لن تقدر على الحياة طويلا . وإذا عشت طويلا فاتندم على هذا العمل . إنه عمل ضد الطبيعة .

جولدفنش : ضد الطبيعة ؟ أعندما يتزوج الشيخ المُسِنّ امرأة صغيرة يكون ضد الطبيعة ؟

جريجورى : ضد الطبيعة أن تتزوج المرأة الصغيرة بالشيخ المسن. إنها تزوجتك فقط لمالك وثروتك . ولكن إلى متى تظل قانعة بشيخ مسن مثلك؟ إن الزوجات الصغيرات جميعَهن متشابهات . وأنا أعرفهن !

جولدفنش : ولكنك لا تعرف زوجتى . إنها تحبنى وتحب منزلها ، وهى هادئة الطباع ، تحب الذهاب إلى كنيستها .

جريجورى : ويحك ! تلك أخطر أنواع النساء !

جولدفنش : إنها فى الكنيسة هذا الصباح .

جريجورى : فى الكنيسة ؟ كم عمر القسيس ؟

جولدفنش : الأب (لُفِى بُوند) Lavi bond ؟ إنه لا يتجاوز الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين على الأكثر .

جريجورى : أهو جميل ؟

جولدفنش : جدا .

جريجورى : آه .. إننى أعرف أولئك الآباء «القساوسة» !

جولدفنش : ماذا ؟ أتريد أن تحنقنى عليه وتنفرنى منه ؟ هيهات أن تنجح . إن الأب (لُفِى بوند) نبيل ، وأنا أكبره وأحترمه .

جريجورى : ويل للأزواج المسنين ! لتسرْ فى الحياة على أسلوبك الخاص ، ولكن إياك أن تقول فيما بعد إنى لم أنصحك . واسمح لى ، فإنى خارج لأتغدى اليوم مع «دك» .

جولدفنش : مع السلامة .

جريجوري : كان ينبغى أن أكون فى منزل «دك» الآن ، ولـكنى عندما نظرتك شاحبا حزينا رأيت أن أنتظر لأخفف عنك ببعض كلمات. صباح الخير

(يخرج)

جولدفنش: إن جريجوري لم يتهذب عن آخر مرة رأيته فيها . بل لقد ازداد سوء ظنه وشكّـه فى كل شيء . هو مخطىء إذا ظن أنى بسبب حادثة (بزدّاد) السائق يجب أن أشك فى كل شخص حتى ... زوجتى ! إننى أصبحت أشك فقط فى السائقين وخدم المائدة .

(يمشى إلى خزانة أدوات المائدة وينظر إلى زجاجة النبيذ)

ليس خدمى ، وليس بالتأكيد « جويس » خادمى الطيب الأمين الذى يخدمنى منذ عشر سنوات . إنه لا يمكن أن يسرق من نبيذى .

(يخرج منديلا من جيبه ويقيس ارتفاع النبيذ فى الزجاجة ، ثم يعقد عقدة فى منديله)

أظن جريجوري يقيس ذلك ، ويعقد عقدة ليتأكد من أن أحدا لا يمس نبيذه ، ينبغى أن أخجل (يرفع المنظار عن عينيه وينظفه) على أى حال إن منظار جريجوري لا يوافقنى

(يدخل بارثولوميو الحذاء ، ومعه حذاءان جديدان)

بارثولوميو : إن خادمك أخبرنى أن أصعد إليك ياسيدى .

جولدفنش : هل أحضرت أحذيتى ؟

بارثولوميو : اثنين فقط ياسيدى .

جولدفنش : أهكذا صنعتهما بسرعة ؟ لقد أرسلته إليك أمس فأحضرتهما اليوم . أتصنع حذائين فى يوم واحد ؟

بارثولوميو : نعم ياسيدى ، فقد اشتغلت فيهما طول ليلة أمس حتى انتهيت منهما

جولدفنش : ما أشق عمل الحذائين ! (يتحدث الى نفسه) لو كنتُ أفكر مثل جريجوري .. بارثولوميو

بارثولوميو : نعم ، سيدى .

جولدفنش : إن أخى جريجورى إذا سمع أنك صنعت حذائين فى يوم واحد قد يقول إنهما قديمان . وإنه يعرفك .

بارثولوميو : لا ياسيدى ، إنهما جديدان جدا

جولدفنش : الجلد ؟

بارتولوميو : لا ، الحذاءان . والجلد أيضا من أحسن الأنواع . إنه جلد عجل

(يدخل حذاء آخر ومعه حذاءان)

جولدفنش : حذاء آخر ؟ رباه أتمطر السماء حذائين ؟ أهذان لابنى ؟

الحذاء : نعم ، سيدى . إن جلدهما من أحسن الأنواع . إنه جلد عجل. أما الأحذية التى معك فهى من جلد بقرة . تستطيع أن ترى الفرق

(يعطيه حذاء)

جولدفنش : (يعطى الحذاء لبارثولوميو) أى جلد ذلك ؟ (بارثولوميو يختبر جلد الحذاء)

بارثولوميو : جلد بقرة ياسيدى أما أحذيتى فمن جلد عجل .

جولدفنش : « يتكلم الى نفسه وفى كل يد حذاء » إن أحد هذين الرجلين منافق ، وربما كان كلاهما « بصوت عال » لقد انتهينا من أمر الأحذية، تفضلا

الحذاءان: شكرا ياسيدى « يخرجان »

جولدفنش : « واضعا كل الأحذية على المنضدة أمامه » لقد قطعت الأمل من خدم المائدة، كما قطعت الأمل من السائقين قبلهم ، والآن يجب أن أقطع الأمل من الحذائين !

إن الساعة الحادية عشرة أوشكت على الانتصاف ، وزوجتى لم ترجع بعد إلى المنزل. إن اجتماعهم فى هذا اليوم طويل جدا! لو كان جريجورى هنا الآن لادّعى أن اجتماعات الأربعاء فى الكنيسة قصيرة .

عجيب أخى جريجورى ، إنه يثير دخانا كثيفا حول كل شيء ولكني لا أنكر أن جانبا كبيراً من الحق فيما يقول . لست صغيرا جدا كما كنت واهما ، و (ماريون) Marion زوجتى جميلة . إنها تقضى أوقاتا كثيرة فى الكنيسة و (لفى بوند) قسيس شاب ، وقوى جذاب . طالما تردد على منزلنا فى طلب المال مساعدة للفقراء أحقا إنه كان يأتى من أجل ذلك ؟ رباه إننى الآن أظلم زوجتى ، وأسيء إليها . ولكن وِزْر ذلك كله على جريجورى !! (يرفع المنظار) ما الرأى فى هذا المنظار ، كل شيء يظهر لى من خلاله أخضر . لا بل أسود ! (ينظفه ثم يلبسه ثانيا . يدخل پرسى) .

پرسى : أريد أن أتكلم إليك يا أبى .

جولدفنش : وأنا أيضا أريد أن أتحدث إليك يا بُنىّ . إن لدى شيئا أريد أن أخبرك به . إن حذاءك رجل منافق ، وكذلك حذائى ، هـذا (يلمس جلد الأحذية) ليس جلد عجل ، وإنما هو جلد بقرة .

پرسى : عمَّ تتحدث يا أبى ؟

جولدفنش : دعنى أنصحك ، لتشك دائما فى الحذّائين وخدم المائدة ؛ إذا لم تراجع قوائم حسابهم ، فإنهم سيقيدون عليك فيها سمكا ، على حين أنك لم تره ولم تأكله . تذكر ذلك يابنى . والآن ماذا تريد !

پرسى : أريد التكلم إليك فى موضوع سبق أن تحدثت به إلى مسز جولدفنش .

جولدفنش : إلى زوجتى ! (يتحدث إلى نفسه) أين هى الآن ! لا أثر لها !

پرسى : نعم ، إلى زوجتك .

جولدفنش : أمك ! لماذا لا تدعوها أمك !

پرسى : يعدنى الناسُ أحمقَ . إنها صغيرة جدا .

جولدفنش : أصغر من أن تكون زوجتى !

برسى : لا ، لا ، صغيرة عن أن تكون أمى (لنفسه) ماذا وراءه ؟

جولدفنش : (يتحدث إلى نفسه) إنه يتفق مع جريجورى (بصوت عال) لماذا لم تستمر فى الكلام ؟

برسى : لأختصر قصة طويلة . . . إننى أحب . . . . . .

جولدفنش : أمك ؟ طبعا!

برسى : طبعا ، أنا أحب أمى . ومن لايحب أمه ؟

جولدفنش : أحبَّ كلاهما الآخر ، (متكلما إلى نفسه) هل أدرك مايدور بنفسى؟

برسى : وأحب شخصا آخر . أحب ابنة (لوريمر) أريد أن أتزوجها !

جولدفنش : « لُوسى » ! إنها ملاك ، ملاك كامل !

برسى : إذاً ستسمح لى ياوالدى !

جولدفنش : من كل قلبي . لقد أحسنتَ الأختيار (يرفع المنظار عن عينيه) أتمنى لك كل هناءة وسعادة .

برسى : لقد تكلمت إلى أبيها .

جولدفنش : وماذا قال ؟

برسى : قال . ماذا تنتظر يابرسى أن أقول ؟ لاسعادة لابنتى أرجوها فوق هذا ، إنك تشبه أباك . ويقينى أنك تكون لها خير زوج .وكل ما أستطيع أن قوله اليوم هو أن تفعل كما أفعل فتترجو !

جولدفنش : أقال (لوريمر) ذلك ؟ لا ، لم يقله بالتأكيد إن مركزه الحالى لايسمح له أن يقول كلاما كهذا .

برسى : مركزه ؟ لماذا ؟ إن مركزه حسن كمركزنا

جولدفنش : لقد خسر كل أمواله . وقد نويت أن أقرضه خمسة عشر ألف جنيه ، وسيأتى الليلة من أجل هذا .

برسى : إن السيد (لوريمر) نبيل أمين . وأعتقد أنه سيرد إليك المبلغ .

جولدفنش : لاشك فيه . إنه صديق لاسائق . وليس من الذوق وهو فى هذه الظروف السيئة ، أن أفاتحه فى أمر زواجك بابنته . هو يعرف أنى سأعطيك من المال فوق ماتحتاج لمعيشتك الجديدة ، كما يعرف أن ابنته لن تملك شيئا . لو كان عمك جريجورى هنا الآن ، لسمعته يقول . . . .

برسى : لست أحفل بقوله . إن الذى يترك ابنه يجوب الشوارع هنا ككلب هزيل ، لارحمة فى قلبه ، ولا يؤخذ بقوله !

جولدفنش : يابنى ؛ عمك يعرف الدنيا ، وقد بدأت أتشبه به منذ الليلة الماضية السائقون ، وخدم المائدة ، والحذاءون كلهم جميعا متشابهون . إننى أعرفهم . والآن أقطع الأمل من «لوريمر» أيضا .

برسى : ولكن السيد «لوريمر» صديقك القديم . كيف يمكنك أن تشك فى صديق قديم ؟ إننى لم أسمعك ياوالدى قبل اليوم تتكلم بقسوة عن أى إنسان !

جولدفنش : لاذنب علىّ فى ذلك . إن الوزر فيه على عمك جريجورى (ينظر إلى ساعة على الحائط) نحن الآن فى الثانية ، ومع ذلك لم تعد . سأخرج لأبحث عنها .

برسى : أين تذهب ياوالدى ؟

جولدفنش : إلى الكنيسة لأحضر أمك .

(يخرج مسرعا)

برسى : رباه ، لقد بدأ ينطوى على شىء غير صحيح ! إن روحا غريبة بدأت تساوره وتعذبه ! إلى الكنيسة ليحضر أمى ؟ من كان معه فى الحجرة المجاورة منذ ساعة ونصف ساعة ؟ إن عشاءه البارحة

قد قلبه رأسا على عقب؛ إنى أرى شخصا آخر غير والدى منذ اليوم !

(تدخل مسز جولد)

مسز جولد : پرسى ، ألم تر مظلتى فى أى مكان !

پرسى : لا يا أمى . سأدعوك منذ اليوم أمى .

مسز جولد : « ضاحكة » من يقول هذا !

پرسى : أبى

مسز جولد : لم أراه منذ الصباح . عندما رجعت من الكنيسة كان مشغولا مع عمك فى حديث . لم أشأ أن أقطع حديثهما . أين هو الآن !

پرسى : ذهب إلى الكنيسة

مسز جولد : إلى الكنيسة !

پرسى : نعم ، ليحضرك إلى المنزل .

مسز جولد : كم هو عطوف ! لا بأس فقد يحضر مظلتى معه . لقد تركتها بعد الكلام مع الأب « لفى بوند » عن مهرجان الأطفال . لقد وعدت أن أكسو عروسا للأطفال (تفتح درجها ، وتضع فيه الكتاب المقدس الذى كان معها)

پرسى : يالله ! ماذلك المظروف الجميل ؟

مسز جولد : آه ! أرأيته ؟ ذلك خاص جدا . إنه يحتوى على رسائل أبيك التى كان يكتبها إلى .

پرسى : هل احتفظت برسائله ؟

مسز جولد : نعم . بكل سطر كتبه إلى . تصور يا پرسى أنه لا يعرف عنها شيئا ، إنى أحب هذه الرسائل ولا أقدر ان ابتعد عنها . إن رسائل الحبيب الذى يصير زوجا تذكر المرأة منا بأسعد أيامها ، بالأيام

التى تكون فيها ملاكا فى سمت(١) انسان . پرسى ، يجب أن تفتخر بأبيك .

پرسى : نحن كلانا نفتخر به.

مسز جولد : تعال سأريك العروس

(يخرجان — يدخل جريجورى مع دك)

جريجورى . لقد كان غداؤك طيبا يابنى . هات يدك . أظنك كنت تفهم أنى لا أحبك لأنى لا أمدك بالنقود أو الهدايا . ذلك كان لمصلحتك ونفعك . لو أنى أصغيت لقلبى ، لكنتَ الآن شابا طائشامتعطلا.

دك . ليتك أصغيت إلى قلبك .

جريجورى . لا ، لا ، هذا خطأ . يجب أن تعتمد فى حياتك على نفسك، يجب أن تروض نفسك منذ الصغر على الجد والعمل والكفاح ، وأن تتعلم قيمة النقود . أصغ يابنىّ .

فى كل رجل منا روح شريرة ، روح تُزيّن له الدَّعةَ وتقوده إلى الهلاك إذ انقاد إليها ، وصلاحه يتوقف على تطهير ذاته من هذه الروح الخبيثة، ومسلكى السابق معك لم يكن إلا لتطهير نفسك من تلك الروح بأوزارها .

دك : ولكن درسك لايزال قاسيا علىّ .

جريجورى . وكذلك الدواء الناجع قاس مرير . إنك يا (دك) كلُّ ما أملك فى هذه الدنيا ، كل الذى من أجله أسعى وأحيا ، ولا تنس أن عندى مائتى ألف جنيه ، وعندما تصير غنيا مشهورا ، ستستولى عليها .

دك . شكرا لك .

جريجورى . هات يدك . إنى فخور بك . لقد نشأت رجلا صغيرا وديعا. يجب أن أعطيك شيئاً .

---

(١) صورة .

دك : أأنت شارع فى أن تعطينى شيئاً؟

جريجورى : نعم ، دبوسى الماسىّ . إن قيمته ستون جنيها . احذر أن تضيعه لقد اعتدت أن ألبسه فى أيام الآحاد فقط منذ عشرين سنة . إذا كنتَ لاتستطيع أن تحافظ عليه ، أو كان مصيره معك إلى الضياع والسرقة فلا تأخذه .

دك : آه ، لا ، ابداً .

جريجورى : لاينبغى أن أعطيك إياه ، إنك لاتزال أصغر من أن تعنى به . آه ، إنى أشعر بدوار فى رأسى .

(يضع رأسه على يده)

دك : (يحدث نفسه) الفرصة مواتية الآن . والدى ، أريد أن أتكلم .

جريجورى : (بدون حركة) استمر ، إنى مصغ .

دك : إنّ لدى بعض شىء فهل تفسح صدرك لسماعه ؟ إن الموكل الذى تكلمت إليك عنه . الرجلَ الصغير الذى لايتكرم عليه أبوه إلا بالنصائح والوصايا ، الرجلَ الذى أثقل بالدين — إن هذا الرجل الذى قلت عنه إنه مجرم لم يكن موكلا قط . إنه ولدك (دك) (ينظر جريجورى كما كان قبلا) نعم أنا الذى استدان مائتى جنيه ، سأكون ممتنا إذا رحمتنى ودفعت دينى (ينتظر) لايتكلم ، إنه لاشك يتقبل كلماتى بقبول حسن.

جريجورى : (رافعا رأسه) دك .

دك : نعم ، والدى

جريجورى : هل نمتُ كثيرا !

دك : نمتَ كثيرا ؟ (متحدثا الى نفسه) أكان نائما ؟ إذاً لم يسمع أى كلمة

جريجورى : يجب أن أضطجع رويدا . إن طعامك قد تصاعد إلى رأسى .

قابلني بفندق (جريفن) فى الساعة الخامسة. أين ذهب دبوسى الماسى؟

دك : إنه معى . لقد أعطيته لى .

جريجورى : متى ؟

دك :الآن؟

جريجورى : لا بد أنى كنت سكران (يخرج جريجورى) .

دك : أبدا لن أقدر على سؤاله مرة أخرى . لقد استجمعت كل شجاعتى لأخبره، وهيهات أن أقدر على ذلك مرة أخرى . رباه، أشعر بأنى محموم جداً : يالقسوة الآباء (يمشى إلى خزانة المائدة) نبيذ ؟ ذلك حقا ما أريد الآن !

[يصب قليلا من الزجاجة الى قاسها عمه بمنديله ثم يشرب . يدخل جويس]

دك : جويس . أحضر لى قلما ومحبرة وورقا.

جويس : ستجدها جميعا هنا ياسيدى (لنفسه) هذا الرجل الصغير يتصرف كأنما هو فى منزله الحقيق !

دك : (يشرب الكأس ثم يجلس فيكتب)

سليمان إسحاق .

دع القانون يأخذ طريقه ياسيدى ، تستطيع أن تقبض علىّ فى الساعة الخامسة بفندق « جريفن » griffin سيكون والدى حاضرا ، وربما يدفع .

دك .

فكرة حسنة — سيعرف الحقيقة بهذه الوسيلة ، ولن أضطر إلى قول أى شىء . قد يدفع المبلغ أولا يدفع ، على أى حال سأرسل الخطاب ، فإذا لم يجدِ سألت عمى (بن[١]) أن يدفع عنى

(١) اختصار بنيامين جولدفنش.

هذا المبلغ . إنه رحيم كريم! رباه لماذا لم يكن أبي مثله . (يخرج).

[يدخل پرسى ومسز جولد]

مسز جولد : لقد أكل عمك بشره . إن حركاته أثناء الأكل غريبة !

پرسى : إنه لايتردد كثيرا على لندن ، فالتمسى له العذر .

مسز جولد : على كل لست متضررة منه ، ولا أبالى متى يعود إلى (شيفلد) .

پرسى : تصورى كيف حاول أن يقبلك اليوم ؟

مسز جولد : إنه كان أحمق جدا . أين هو الآن ؟

پرسى : مضطجع فى حجرة النوم . سأذهب إليه (يخرج) .

مسز جولد : كم سيضحك (بن) عندما أخبره بمحاولة جريجورى ؟ لقد تأخر كثيرا فى الخارج . أرجو أن يكون قد وجد مظلتى .

[يدخل جولدفنش والاضطراب باد عليه]

جولدفنش : أأنت هنا أيتها السيدة ؟

مسز جولد : نعم إننى هنا منذ وقت طويل . آه لقد وجدتها .

جولدفنش : نعم ، وجدتها . هذه هى مظلتك .

مسز جولد : ماذا جرى؟ أأنت محموم ؟

جولدفنش : كيف تجرئين على سؤالى ؟ أهذه مظلتك ؟ أتقدرين أن تزعمى أن هذه ليست مظلتك .

مسز جولد : أبدا ياعزيزى ، إنها مظلتى .

جولدفنش : حسن ، لقد اعترفت بأنها مظلتها . وهل تستطيع أن تنكر ؟ إن اسمها منقوش على مقبضها .

مسز جولد : (متحدثة إلى نفسها) أأكل « بن » كثيرا ؟

جولدفنش : ماذا كنت تفعلين فى حجرة القسيس أيتها السيدة ؟

مسز جولد : ذهبت لأتكلم إلى الأب « لفى بوند »

جولدفنش : « لفى بوند » ؟ إنها تعترف أيضا .

مسز جولد : عن حفلة الشاى والعروس التى سأكسوها .

جولدفنش : حفلة شاى ! عروس ! أعرف هذه الحفلة ، وأعرف تلك العروس

مسز جولد : لاشك أن (بن) أكل كثيرا .

جولدفنش : طبعا أنهم كل شىء . إننى شيخ مسن ، وأنت امرأة صغيرة . النساء الصغيرات جميعهن متشابهات . إننى أعرفهن . والآن أصبحت أفهم لماذا تذهبين إلى الكنيسة كثيرا .

مسز جولد : هل الذهاب إلى الكنيسة جريمة كبيرة جدا ؟

جولدفنش : إن (لفى بوند) لم يتجاوز الثانية والثلاثين ، وأنت لاتقنعين بشيخ مُسن مثلى ! أعطينى رسائله . إننى أطاب رسائله !

مسز جولد : إنه لم يكتب إلى أبدا

جولدفنش : تكلمى الصدق . إن هناك دائما رسائل

مسز جولد : ماذا بيننا يدعوه أن يكتب إلى

جولدفنش : نعم ماذا يدعوه أن يكتب اليك ؟ ولماذا يقبلك أيتها السيدة ؟

مسز جولد : (بغضب) إنه لم يقبلنى ابدا

جولدفنش : أتعنين ماتقولين ؟

مسز جولد : نعم أعنيه وأقصده !

جولدفنش : إن هذا الكلام غير مقنع .

مسز جولد : لاشك أن أعصابك متعبة

جولدفنش : ألم يحاول أى رجل أن يقبلك أبدا ؟

مسز جولد : (ضاحكة) بلى — شخص واحد . . . هـــذا الصباح !

جولدفنش : مااسمه ؟ إننى أطاب اسمه .

مسز جولد : لن أذكره عقابا لك . (تخرج)

جولدفنش : سأكشفه . وسأكتشف رسائله . إن جميع رسائله فى درجها
(يذهب إلى الدرج) مقفل . ولكنى سأحصل عليها . سأسأل جريجورى
يجب أن أصدق فقط ماأرى . آه ، ولكنى أشعر بالحمى . يجب
أن أتناول بعض النبيذ .

(يذهب إلى خزانة أدوات المائدة ، وعندما يهم بصب قليل من النبيذ يرى الكأس التى استعملتها دك فيبتسم — ينظر إلى الزجاجة ثم يخرج المنديل من جيبه ويقيس ارتفاع السائل كما فعل من قبل) حقا إن الأمر كما قدرت . لقد شرب (جويس)
قليلا من نبيذى . أيمكن أن يتصور أن (جويس) الذى عاش معى
عشر سنوات ، والذى مارفضت له طلبا ، يخوننى أيضا ؟ يجب أن
أقطع الأمل من الخدم أيضا !

(يدخل دك)

دك : (لنفسه) إنه الآن وحده . سأخبره بكل شىء . لست خائفا من
عمى (بن) هذا الشيخ المحسن . عمى .

جولدفنش : آه ، دك . إنى سعيد بحضورك . لقد أتيتَ فى اللحظة المناسبة إنها
لدنيا محزنة !

دك : أهى دنيا محزنة ياعمى ؟

جولدفنش : أجل ، إنها دنيا الشر والأشرار . ولكنك أحد أبطالها يا (دك)
لقد ظننتُ فى وقت ما أنك أضعتَ وقتك ونقودك ، ولكنى
كنت مخطئا . أنت بطل . لم أكن أعرف — حتى ليلة أمس —
المصاعب الجمة التى واجهتك ياولدى . ولم أكن أعرف كذلك
كيف كنت تعمل وتتحمل مع فقرك وحاجتك ، فقد كنتَ
صامتا . إنك لم تخبرنى مطلقا عن متاعبك . أنت بطل يا (دك)

دك : ولكنْ لدى شىء أريد أن أخبرك به ياعمى . شىء مختلف عن هذا .

جولدفنش : شيء مختلف ؟

دك : لست بطلا ، ولست محاميا ، ولست ذا قضايا وموكلين ، ولست أكسب في الأسبوع خمسة جنيهات .

جولدفنش : ولكن والدك معه صورة شمسية لك وأنت في لباس المحامين

دك : إنها ثياب (پرسى) لقد اعارنى إياها لأرتسم فيها .

جولدفنش : ماذا ؟ أأنت منافق أيضا كالباقين ؟

دك : لم أقدر على دراسة الحقوق . إنها تكلف نفقات كثيرة كما تعلم . ولم يكن لدى نقود .

جولدفنش : كان يلزم أن تطلب من والدك .

دك : لقد طلبت منه بعض شيء لا كل فقط .

جولدفنش : لكن ماكان يصح أن تضلل والدك .

دك : كنت خائفا منه ، وقد دفعت القسط الأول من نفقات امتحان الحقوق ، وهذا ما ألجأنى إلى الاستدانة .

جولدفنش : ألجأك إلى الاستدانة ؟ كم دينك ؟

دك : نحو مائتى جنيه .

جولدفنش (جالسا ليحرر حوالة « شيكا ») أذلك كل دينك ؟ هل مائتا جنيه تصلح حياتك وتنظمها ؟

دك : لقد كنت شارعا فى طلب هذا المبلغ منك لثقتى بطيبه قلبك . . .

جولدفنش : ثقتك بطيبة قلبى ؟

دك : إننى الآن خال من جميع الأعمال !

جولدفنش : خال من جميع الأعمال ؟ أين سمعت هذه الكلمات من قبل ؟

دك : ألا تكون كريما فتساعدنى مرة أخرى ؟

جولدفنش : لقد أخطأتَ فى تضليل والدك.

دك : لكن مع والد أعمى كوالدى . . .

جولدفنش : (ملتيا بتلمه) آه الوالد الأعمى ؟

دك : نعم أعمى فى سبيل مصالحه .

جولدفنش : كفى كفى ؛ أعرف البقية.وأمك كسيح

دك : إن أمى قد توفيت ياعمى .

جولدفنش : أبدا ، إن المحتضرة هى زوجتك ، وأمك كسيح ، وأطفالك يصيحون من أجل الخبز .

دك : ليس لى زوجة ، وليس لى أطفال .

جولدفنش : لديك ؛ وأنا أعرفهم ، إنهم يأتون جميعا من (شيفلد).لقدسمعت تلك القصة من قبل .

دك : حسن جدا سينقلب عمى والدا جديدا يضايقنى . إننى ذاهب . أولا إلى فندق (جريفن) ، وثانيا إلى سجن (هولواى) .Holloway

[يخرج دك]

جولدفنش : وها أنا ذا أقطع الأمل من أبناء الأخ .

[يدخل جويس]

جولدفنش : جويس . أعطنى مفاتيحك .

جويس : مفاتيحى ياسيدى ؟

جولدفنش : نعم .

جويس : مشيئتك [يعطى جويس سيده مجموعة من المفاتيح] .

جولدفنش : واطلب من سيدتك مفاتيحها أيضا .

جويس : أأطلب منها أنا ؟

جولدفنش : نعم اطلب منها مفاتيحها .

[يخرج جويس]

جولدفنش : إن جريجوري محق . الحياة جميعها متشابهة. السائقون ، ومنظمو المائدة ، والحذاءون ، والخدم ، والأصدقاء ، وأبناء الأخوة ، والزوجات — جميعهم سواء ؛ لقد عشت فيما مضى أبله ، ولكني قد تعلمت الحكمة أخيرا . يجب أن أقطع الأمل منهم جميعا إلا جريجوري . سأشرف من الآن على كل شيء بنفسي .

(يدخل جويس ثانيا)

جويس : هاهي ذي المفاتيح ياسيدي . وسيدتي تقول . . . .

جولدفنش : اذهب.

(يخرج جويس)

جولدفنش : مفاتيحها ؟ لاشك أني واجد رسائلها ، رسائل هذا الأب المنافق أيضا (يمشي إلى درجها) ستكون هنا . ماهذا ؟ (يخرج مظروفا كبيرا) رسائله ، لا ، لن أقرأها الآن (يضعها في جيبه) لابد أنّ هناك رسائل أخرى (يبحث في الدرج مرة ثانية). ماهذا؟ كتابها المقدس، ربما كان هذا الكتاب يغير من رأيي فيها بالأمس ، ويخفف من ثورتي، ولكنْ هيهات أن أخدع اليوم بمثل هذا . لقد ازددت عقلا وفهما وعلما . شكرا لجريجوري أخي وأستاذي . ولكن أين سعادتي ؟ لقد كنتُ بالأمس أسعدَ مني اليوم ! ماهذه الآية التي وضعتْ علامة أمامها (يقرأ): «في الحكمة الكثيرة هم كثير ، وكلما ازداد الانسان علما ازداد هما وحزنا» .

(يرفع منظاره ، ثم يجلس ناظرا إلى الكتاب المقدس بين يديه)

﴿ نهاية الفصل الثاني ﴾

ملحوظة : تمثيلها ممنوع إلا باذن من المعرب

(محمد علي الملكية)

عبد العزيز عتيق

أمثـــل الطرق

لتدريس اللغة العربية

نقلنا إلى القراء فى العدد الماضى من صحيفة دار العلوم، أن لجنة تألفت فى وزارة المعارف لدراسة أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية، وكان سبب دعوتها إلى الاجتماع كلمة بدر بها عضو من أعضاء اللجنة الموكول إليها تحديد السن التى ينبغى أن تبدأ فيها دراسة اللغة الانجليزية. ولقد لخصنا للقراء فى العدد الماضى مادار من المناقشات بين أعضاء هذه اللجنة فى جلستها الأولى، وماأجاب به معالى وزير المعارف.

فاليوم نقول: إن أعضاء هذه اللجنة قد عقدوا بعد ذلك جلسات عدة. ليتبادلوا الرأى فيما اجتمعوا له، وهو النظر فى أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية بالمدارس الابتدائية والثانوية، فقسموا أنفسهم شعبتين، تنظر كل شعبة فى شأن مرحلة من مرحلتى التعليم العام؛ أما شعبة المدارس الابتدائية فيرأسها صاحب العزة محمد أحمد جاد المولى بك، وأعضاؤها حضرات الأساتذة: زكى المهندس أستاذ التربية بدار العلوم، ومحمد عبد الواحد خلاف ناظر مدرسة فاروق الأول الثانوية، وعلى خليل ناظر مدرسة عابدين الابتدائية، وإسماعيل توفيق ناظر مدرسة مصر الجديدة الابتدائية، والشيخ سيدمهدى شوشة المدرس الأول للغة العربية بالمدرسة الابراهيمية، ومحمد سعيد العريان مدرس اللغة

العربية بمدرسة شبرا الابتدائية للبنات ، ومحمد سيد أحمد النجار مدرس اللغة العربية بمدرسة شبرا الابتدائية للبنين، واختير الأستاذ محمد سعيد العريان مقرراً لها .

وأما شعبة المدارس الثانوية فيرأسها صاحب العزة على الجارم بك ، وأعضاؤها حضرات الأساتذة : حسن خالد ناظر مدرسة شبرا الثانوية ، والدكتور زكى مبارك المفتش بوزارة المعارف ، وبيلي الفار المفتش بوزارة المعارف ، وإبراهيم عبد النبي المدرس الأول للغة العربية بالمدرسة السنية، ومحمد موسى عفيفي المدرس الأول للغة العربية بالمدرسة السعيدية ، ومحمد شتا المدرس الأول للغة العربية بمدرسة الخديو إسماعيل ، وعبد الحليم سالم الموظف بإدارة الشئون العامة بوزارة المعارف . واختير الاستاذ محمد شتا مقرراً لها

ومضت كل شعبة من الشعبتين فى عملها . وتوالى اجتماعهما حتى انتهوا إلى رأى جميع ، ثم اجتمعت الشعبتان اجتماعا عاما لتبادل الرأى فيما قررت كل منهما ؛ ثم رفعت اللجنة تقريرها إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف برأيها فى أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية ، فى مرحلتى التعليم الثانوى والابتدائى . وإلى القراء خلاصة ما انتهى اليه بحث اللجنة ، وهو ما يزال معروضاً على معالى الوزير لدراسته قبل الاخذ فى وسائل تنفيذه :

ا — فى التعليم الابتدائى

تناولت اللجنة موضوعها من ست نواح .

١ — صلة رياض الأطفال بالمدارس الابتدائية .

٢ — الكتب المدرسية .

٣ — أساليب التدريس .

٤ — مكتبة التلميذ .

٥ — النشاط المدرسى واستغلاله للنهوض باللغة العربية .

٦ — المدرس .

— ١ —

أما صلة رياض الأطفال بالمدارس الابتدائية ، فقد أشارت اللجنة بالإبقاء على نظام رياض الأطفال الحالى ، على أن يعمل ترتيب خاص فى خلال السنة الأولى الابتدائية من شأنه أن يكفل التوازن بين قوى التلاميذ المختلفة ، سواء منهم من أتم دراسته فى رياض الأطفال ، ومن جاء من المدارس الأولية وغيرها.

وقد حرصت اللجنة فى هذه الناحية على التنبيه على ما يأتى :

ا — زيادة العناية باللغة العربية فى رياض الأطفال .

ب — ضرورة حذف اللغة الانجليزية من السنة الأولى مبدئيا ، ريثما يتقرر تحديد السن التى ينبغى أن يبدأ فيها تعليم اللغة الأجنبية .

حـ — أن يكون مدرس اللغة العربية هو (مدرس الفصل) فى السنتين الأولى والثانية ، يدرس فيهما كل المواد .

— ٢ —

وترى اللجنة زيادة العناية بالكتب المدرسية فى المدارس الابتدائية ، ولتحقيق ذلك تشير بما يأتى :

ا — السهولة والتدرج فى لغة الكتاب وفى موضوعه .

ب — يكون أكثر الكتب فى المدارس الابتدائية قصصيا . بحيث تشمل القصص الموضوعة مبادىء الثقافة العامة مبثوثة فى تضاعيف الكلام لمناسباتها .

حـ — يراعى فيما يقدم للتلميذ من كتب المطالعة ، التنويع والكثرة ، مع العناية بطبع هذه الكتب وشكلها وصورها .

— ٣ —

وفى أساليب التدريس ، ترى اللجنة أن تكون اللغة العربية وحدة فى التدريس أساسها المطالعة فى كتب يتحقق فيها ما تقدم من شروط ، بحيث يمكن

أن تكون المطالعة فيها وسيلة إلى تدريس القواعد، والإنشاء، والمحفوظات، وغيرها من فروع اللغة.

وفى تقرير اللجنة عن أساليب التدريس نماذج تبين طريقة استخدام المطالعة أساسا لتدريس سائر فروع اللغة العربية، وإرشادات للمدرس إلى ما يأخذ وما يدع.

— ٤ —

وترى اللجنة للنهوض بالمكتبات المدرسية ما يأتى:

ا — تشجيع التأليف بالمكافأة المادية والأدبية.

ب — تكليف طائفة من الذين تخصصوا فى الكتابة للطفل ونجحوا فيما حاولوا أن يعملوا على تزويد مكتبة التلميذ بما يمكن أن يضعوا من القصص

ح — يقوم على شئون المكتبة مدرس خاص بها فارغ لها، ومن حقه إنفاق مبلغ ما فى شراء النافع من الكتب.

ء — يصحب مدرس اللغة العربية تلاميذه إلى المكتبة فى بعض دروس المطالعة باعتبار ذلك درسا من دروس اللغة العربية فى جدول التدريس.

— ٥ —

وتشير اللجنة بالعمل على استغلال النشاط المدرسى فى تقوية التلاميذ فى اللغة العربية، بالتمثيل وغيره، على أنها تشترط لذلك أن يخفف العمل عن المدرس الموكول إليه الاشراف على اللغة العربية فى أوقات النشاط المدرسى حتى لا يدفعه ما يشعر من مشقة العمل على التهاون.

— ٦ —

ويتحدث تقرير اللجنة بعد ذلك عن المدرس قائلا:

«... إن كل إصلاح مقترح لا يؤتى ثمرته إلا إذا كان المدرس عنصرا من أهم عناصره، والمدرسون على اختلاف وجهتهم يشعرون بعظم تبعتهم

وزحمة أعمالهم ، لذلك تشير اللجنة على الوزارة أن تضع نظاما لتشجيع السابق منهم تشجيعا يحفز المتخلف إلى العمل ، وأن تخفف عنهم بعض الأعباء التى تستنفد وقتهم وتشغل الكثير منهم عن محاولة التزوّد فى المادة أو التجديد فى الطريقة ؛ ووسيلة ذلك ألا تزيد حصص مدرسى اللغات على عشرين حصة فى الأسبوع ، وألا يزيد عدد تلاميذ الفصل الواحد على خمسة وعشرين تلميذا . . »

· وتقترح اللجنة بعد ذلك على الوزارة ، أن تنشىء مجلة للمعلمين تعنى بعرض الآراء الجديدة فى فن التربية ؛ ليجد فيها المعلمون العون على التجديد والابتكار فى وسائلهم .

ب — فى التعليم الثانوى

بحثت اللجنة هذا الموضوع من ثلاث نواح ، هى :

١ — الفروع التى تدرس فى مرحلة التعليم الثانوى، وأمثل الطرق فى دراستها (ماعدا السنة التوجيهية)

٢ — أهم العوامل التى لها الأثر فى ضعف التلاميذ وعدم اهتمامهم .

٣ — أهم الوسائل التى تحفز التلاميذ إلى العناية بدراسة اللغة العربية والإقبال عليها .

١

تناولت اللجنة بالبحث فروع اللغة العربية التى تدرس بالتعليم الثانوى فاقترحت أن تكون دراسة الأدب فى السنتين الأولى والثانية مقصورة على نصوص مختارة تمثل أغراضا مختلفة ، مع الإلمام بحياة الكاتب أو الشاعر، وذكر المناسبة التى قيل من أجلها النص.

وتكون دراسة الأدب فى السنتين الثالثة والرابعة مقصورة على نصوص للشخصيات البارزة فى أزهى عصور الأدب : فى السنة الثالثة تختار النصوص

من العصر الفاطمى والعصر الأيوبى وعصر الأندلس ، وتختار للسنة الرابعة من عصر النبوة والعصر الأموى والعصر العباسى .

واقترحت اللجنة فيما يختص بالقواعد أن يبقى على المنهج المعدل .

وفيما يختص بالإنشاء رأت اللجنة تتبع الطريقة الآتية :

١ — تلخيص موضوع قرأه التلميذ .

٢ — تلخيص موضوع سمعه التلميذ .

٣ — الكتابة فى موضوع يختاره التلميذ أحيانا .

٤ — حل أبيات سهلة من الشعر .

٥ — استغلال مايقرؤه التلميذ فى المكتبة .

ومن ناحية المطالعة رأت اللجنة أن تتوفر فى دروسها حياة تبعث فى نفوس التلاميذ الرغبة فى الاطلاع بأنفسهم فى داخل المدرسة وفى خارجها ، وأن يصل المدرس تلاميذه بالحياة الخارجية بين حين وحين ، فيطلب منهم قراءة ما يستحسنه من مقالات الصحف .

وأن يمرن التلاميذ على الكلام فى الدرس بشرح المعانى والتحدث عن الموضوعات المختلفة التى تعرض لهم .

أما المحفوظات فإن من رأى اللجنة أن يكون الشطر الأكبر منها مختارا من الأدب الحديث ، وجزء منها من الأدب القديم المستساغ ، وأن يختار منها النوع الشائق السهل .

توزيع حصص العربية :

وعلى هذا الأساس توزع حصص اللغة العربية على الوجه الآتى :—

عدد

٢ — للمطالعة .

١ — للإنشاء تتعاقب بين الخطابة فى أسبوع والكتابة فى أسبوع ثان وتصحيح الأخطاء فى ثالث .

١ — للقواعد والتطبيق .

٣ — للأدب والنصوص والمحفوظات .

٢ — أسباب ضعف التلاميذ :

ولقد أرجعت اللجنة العوامل التى لها الأثر فى ضعف التلاميذ وعدم اهتمامهم ، إلى التلاميذ أنفسهم فنصحت بأخذهم بسياسة أحزم . كما رأت أن يراعى عدم ازدحام الفصول بهم، وأن يعاد النظر فى الامتحانات وأنظمتها فتعدل على أساس أحكم وأمثل .

٣ - وسائل الاقبال على اللغة :

أما الوسائل التى تحفز التلاميذ إلى العناية بدراسة اللغة العربية والإقبال عليها فقد حصرتها اللجنة فى المعلم ، والمكتبة ، والنشاط المدرسى ، ومجلة من أقلام التلاميذ يضمنونها مقالاتهم . كما أوصت اللجنة بالإكثار من الرحلات المدرسية ، وزيارة الآثار التاريخية التى تتصل بالحياة العربية كدار الكتب والأزهر ومسجد عمرو وبعض الأندية الشهيرة فى مصر وغيرها من الآثار .

***

هذه خلاصة للتقريرين المقدمين من لجنة أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية فى المدارس الثانوية والابتدائية .

وما زال التقريران بين يدى معالى وزير المعارف ، وينتظر أن يدعو معاليه أعضاء اللجنة إلى اجتماع قريب ، ليناقشهم الرأى فيما قدموا من مقترحات تمهيدا للأخذ بها؟

فى النقد اللغوى

للأستاذ على السباعى

المدرس بمدرسة شبرا الثانوية

راج النقد اللغوى فى هذا العصر؛ فخصصت له الصحف أياما، وأوسعت له المجلات صفحات ليسطر فيها المعنيون باللغة وبحوثها مايرونه من تصويب وتخطىء. وقديما كان هذا النوع إما فى ثنايا كتب اللغة كما فعل الفيروزابادى فى قاموسه حين اهتم بتوهيم الجوهرى فى صحاحه وعنى بذكر خطئه أو تقصيره، وإما فى كتب خاصة بالنقد كما فعل ابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب، والحريرى فى درة الغواص، ولم يسلما من التعقيب عليهما ونقد مادوناه من آراء فى التخطئة والتصويب، فإن البطليوسى تعقب ابن قتيبة فى كتابه الاقتضاب، وله عبارة لا بأس أن نوردها بنصها؛ ليرى المولعون بهذا النقد كيف كان تحرز القدماء، وحرصهم على عدم التخطئة إلا بدليل قاطع وجحود أغلب العلماء. قال أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى فى رده على ابن قتيبة فى كلمات جعلها من لحن العوام « القسم الثالث أشياء جعلها من لحن العامة وعول فى ذلك على ماروراه أبو حاتم عن الأصمعى وأجازها غير الأصمعى من اللغويين كابن الأعرابى، وأبى عمرو الشيبانى، ويونس وأبى زيد وغيرهم، وكان ينبغى له أن يقول: إن ماذكره هو المختار أو الأفصح أو يقول: هذا قول فلان وألا يجحد شيئا وهو جائز من أجل إنكار بعض اللغويين له، فيقول: ذلك رأى غير صحيح ومذهب

ليس بسديد » وكذلك تعقب الشهاب الخفاجى والألوسى - الحريرى فى الدرة فصوبا كثيرا مما خطأه وأثبتا بالنصوص صحته ، وفى عصرنا هـذا ظهر كتابان فى هذا النوع أحدهما « لغة الجرائد » وهو مجموع المقالات التى كان ينشرها العالم الكبير المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجى فى مجلته « الضياء » والثانى تذكرة الكاتب للأديب الضليع أسعد داغروهو شبيه بلغة الجرائد فى موضوعه وطريقته وإن امتاز بالتجديد فى بعض الأبحاث، وذكر الأساليب الجديدة، وكلا الكتابين لايخلو من مؤاخذات سنفرد لها بعد بحثا يتضمن وجه الحق فيما ارتأياه .

ويعتمد النقد الأدبى على الطبيعة المواتية ، والفطرة الصافية، والذوق السليم، والذكاء الوقاد ، والتجارب الدقيقة والاطلاع على الآداب العربية والأجنبية، والتمكن من الناحية الفنية، أما النقد اللغوى فأساسه التمكن من العلوم العربية، والاطلاع الكثير ، فهو إلى حافظة قوية وذاكرة واعية أحوج منه إلى الذوق والتجربة؛ ومع هذا فليس ميسورا كما قد يتوهم بعض الناس، فإن له شروطا إن لم تتوافر فيمن يحاوله ركب الصعاب، واستقبل أمرا ذامئونة وربما عثرفى سيره، فيصبح مغلوب الرأى مردود القول - لاتافها لايعبأ به كما يحسب آخرون يقولون: ماصواب كلمة لاتقوم بها مدنية ؟ وماتخطئة أخرى لاتنهدم بها حضارة ؟ فإن التهاون فى استعمال كلمات محرفة أو ملحونة أو عامية قد يجر على اللغة أخطارا داهمة، تفسد الذوق وتضيع الدين وتبعدنا عن الغاية من البيان .

فعلى الناقد اللغوى ليكون ثبتا دقيقا شديد الحذر بعيدا عن النقد والتشهير أن يتذرع بالوسائل الآتية :

١ - أن يكون كثير الاطلاع على المعاجم المشهورة وكتب الأدب المتداولة مستفيدا من مطالعته فلا يكتفى بمعجم يظنه وسع معظم المفردات ويهمل غيره ؛ إذ قد يأتى المصباح المنير مثلا ، أو مفردات الراغب ، أو أساس

البلاغة، أو المخصص بما لا يوجد فى سائر المعاجم ، وقد رأيت بعض الأفاضل اهتم بالقاموس فقط وجعله سنده وحجته فى نقده فكان يشهّر به ويرد عليه نقده من المصباح أو المختار.

ولا يعتمد على المعاجم دون كتب الأدب فإن مؤلفيها جزاهم الله خيرا على طول الدرس واحتمال المشقة فى التحقيق لم يستوعبوا مانطق به العرب أو يستقصوا ماروى عنهم – واللغات مما لا يحيط به إنسان – بل يقرأ كتب الأدب الشهيرة المعتمد عليها ليأخذ من نصوصها وشواهدها ماعسى أن يكون قد تركته المعاجم ، وسيرى القارىء بعض الكلمات التى عثرنا عليها فى كتب الأدب ولم توجد فى المعاجم .

٢ – أن يكون دقيق الملاحظة يقظا حين يطلع على المعاجم، فقد ينفى المعجم كلمة فى مادة ويثبتها فى أخرى، وقد يذكر ماهو صريح الخطأ ظاهر البطلان، وقد يضع الناسخ أو الطابع حركة ما فيظن المطلع أنها وضعت عن تثبت وثقة، فإذا بها بعد البحث غلطة شنيعة لا وجه لها من الحق : فمثلا يذكر القاموس كلمة فئة فى باب الهمزة موهما أن لامها همزة ثم يجمعها على فئات وفئين. وجمعها جمع مذكر سالما يدلك بلا تردد أن لامها محذوفة وعوض عنها التاء، فيكون الصواب ذكرها فى باب الواو ووزنها فِعَة، وكذلك فعل أيضا فأثبتها فى الواو ، وتعقبه الشارح حين ذكرها فى الهمزة. فلو لم تكن متذكرا القاعدة لوزنتها فله، وحذفت العين مع أن الذى يحذف فى مثل هذا البناء الفاء أو اللام

ومثلا يذكر اللسان فى مادة وَهب (هبنى فعلت ذلك أى احسُبنى واعددنى ولا يقال هب أنى فعلت) ثم يروى فى مادة شرك مايدل على صحة ماأنكره إذ يقول ص ٣٢٤ فى الجزء الثانى عشر: « كان عمر رضى الله عنه حكم فيها (الفريضة المشتركة) بأن جعل الثلث للأخوة للأم ولم يجعل للأخوة للأب والأم شيئا فراجعه الأخوة للأب والأم وقالوا : لِهَب أن أبانا كان حمارا فأشركنا بقرابة أمنا فأشرك بينهم » فأنت ترى أن اللسان يذكر فى الحكاية

قولهم هب أن أبانا، وكذلك يذكرها ويرويها غيره ولم ينكر عليهم عمر قولهم - وهو الناقد البصير الخبير بأساليب الأدباء - ولو كانوا مخطئين لردهم وعلمهم كما علم غيرهم حين أخطئوا، ويظهر أن صاحب اللسان تأثر بالحريرى فى هذه المادة فسها حين ذكر النص أن يعود فيبطل ماقرره ويمحو ما أثبته.

وتجد القاموس يذكر فى مادة (القتو) اقتوى على وزن افتعل، ويقول: وهو لازم ألبتة وفى هذا خطآن ظاهران: الأول أنه حسب التاء زائدة فوزن الكلمة على افتعل مع أنها أصلية ووزنها أفعلّ كارعوى واجأوى. الثانى أنه قرر أن افتعل لازم البتة ويرده استمع واشترى واصطنع واصطحب وهكذا من مئات على وزن افتعل وهى متعدية.

وتجد الواقفين على طبع أساس البلاغة فى دار الكتب فى مادة قفل يشكلون الفعل قفَل بفتح الفاء ويعدونه مع أن اللسان والتاج ينصان على إنكار مقفول، فيقول اللسان «وقد أقفل الباب وأقفل عليه فانقفل واقتفل، والنون أعلى، والباب مقفَل ولا يقال مقفول» وكذلك يقول التاج أما نظيره فى المعنى وهو أغلق فقد ورد فيه غلَق ونصوا على أنها لغة رديئة؛ ولذلك يقول أبو الأسود الدؤلى فى بيان فصاحته:

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق

فأنت ترى من إنكار اللسان والصحاح والتاج كلمة مقفول، ومن عدم ورود قفَل متعدية فى قاموس ما إلا فى الطبعة الجديدة من أساس البلاغة — أن الصواب قفّل بالتشديد لا قفَل، وأن المصححين أغفلوا الشدة فأوهموا القراء بأن الفعل متعد مع أن النصوص متضافرة على لزومه، وهكذا من مسائل تخدعك فيها المعاجم وتقفك موقفا نعيذك بالله منه إن لم تحذرها.

٣ — أن يكون متمكنا من قواعد الصرف والنحو وعلوم البلاغة؛ وسوف يثور قوم من المجددين على هذا، وما علينا إن ثاروا بعد أن تمنوا ألا يكون فى

المدارس شيء منها؛ لأنا من الذين يقدرون مجهود السابقين فى تقريب العلم وتفهيم المتعلمين الفصيح والأفصح والصحيح والملحون، ولو كان عملهم عبثا لطلبنا المعلمين أن يكفوا أيديهم ويطووا كتبهم؛ لينطق الناس بما يشاءون وترضاه بيئاتهم، وإنما طلبنا التمكن فى هذا لأنا وجدنا لغريين ناقدين يقفون عند حرف الكلمة ولا يفقهون فحواها أو يصرفونها تصريفا يساير العرف والاشتقاق والتجوز، فالمرحوم اليازجى ينكر كلمة نصوح لأنها لم ترد فى المعاجم، وفاته أن المقيس لاداعى لذكره أو التنبيه عليه والفعل نَصَح ثلاثى متعد: ينقاس فى فاعل منه التحويل إلى صيغ المبالغة الخمس على مذهب البصريين (١)، ولو كان عليما بالقاعدة ماتعرض لنقد هذه الكلمة؛ على أنها واردة فى شعر عدى بن زيد إذ يقول فى إحدى الروايتين.

من لقلب دنف أو معتمدْ قد عصى كل نصوح ومُفَنّدْ (٢)

كما أنكر اليازجى أن كلمة سفساف تجمع على سفاسف لأنها لم ترد إلا مفردة، ولكن القواعد لاتأبى جمعها وقد جمعت فى قول ابن سلام صاحب الطبقات يشرح قول العلاء بن جرير فى الموازنة بين الشعراء الثلاثة: جرير، والفرزدق، والأخطل (جرير يجىء سابقا، ومصليا، وسكيتا) قال ابن سلام: «جرير له روائع هو بهن سابق، وأوساط هو بهن مُصَلٍّ، وسفسافات هو بهن سكيت» فابن سلام جمع الكلمة جمع مؤنث سالما ومرت القرون على قولته، ولم ينكر عليه منكر، وحسبك بابن سلام عالما، وقال جعفر أحد بنى قُرَّة.

منعناه من عُليا مَعَد وأنتم سفاسيف رَوْح بين فُرح وخيبرا (٣)

فجمعه الشاعر جمع تكسير. وعدم تعرض المعاجم للجمع لايعنى نفيه أو

(١) راجع حاشية يس على التصريح ص ٧٤ جزء ثان.

(٢) راجع الأغانى ص ١٢٨ جزء ثان.

(٣) فرح: سوق وادى القرى وقصبتها راجع الأغانى ص ٩٣٨ الجزء الثامن

إنكاره، فالوجه فى النقد اللغوى ألا نجحد كلمة من أجل إنكار بعض اللغويين أو إغفال أصحاب المعاجم، فإن فى هذا تضييقا على المنشئين والكتاب، وتحجيرا للواسع المستفيض ومادام يمكننا التوسع باطراد القواعد أو الاشتقاق أو التجوز، فما علينا من بأس إن استعملنا مايتفق مع هذه الأبواب.

وللدلالة على أن المعاجم لم تستوعب، نذكر لك كلمات مشهورة مستعملة ومذكورة فى كتب الأدب، وبها تقتنع أن مصادر اللغة ليست محصورة فيها بل شواردها مبثوثة فى كتب الدين والأدب واللغة:

١ — عمة: خطأ أستاذنا العلامة صاحب كتاب تهذيب الألفاظ العامية الأدباء فى استعمال هذه الكلمة، واستبدل بها كلمة عمامة لأنها لم تردفى معجم، اللهم إلا على أنها اسم هيئة من الاعتمام شذوذا، وكذلك صرحت كتب الصرف ولكنها وردت نثرا وشعرا، ففى النثر يقول نعيم ابن قبيصة الأسدى لامرىء القيس: « والتاج والعمة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشيم » وبدهى أنها لاتكون هنا اسم هيئة بل هى اسم ذات (١) وفى الشعر قول عروة بن حزام العذرى الشاعر الأموى:

فَرُحْت من العراف تسقط عمَّتى عن الرأس ما ألتاثها ببنان (٢)

٢ — التحق. وتلك كلمة وقعت فيها كما وقع غيرى فأنكرتها فى مقال « تحقيقات لغوية » فى صحيفة المعلمين سنة ١٩٢٣ معتمدا على قول صاحب تاج العروس فى مستدركه على مادة لحق إذ قال: « والتحق به أى لحق مولدة قال الصاغانى: لم أجده فيما دُوِّن من كتب اللغة فليجتنب ذلك » وأنكرت طلبات الالتحاق، واستبدلت بها طلبات اللحاق أو اللحوق، ولكنى وجدتها فى النثر والشعر أيضا. ففى النثر يقول يزيد بن معاوية حين خطب أمام أبيه يشد أزر عبيد الله

(١) راجع الأغانى جزء رابع ص ١٠٤:

(٢) راجع النوادر لأبي علي القالي ص ١٥٩.

ابن زياد : « يا أمير المؤمنين : إن للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك زياد وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظنى ولا تغيرها التهم وأهلوه أهلوك : التحقوا بك، وتوسطوا شأنك فسافرت به الركبان الخ (١) » .

وفى الشعر يقول عنترة العبسى :

ولى جواد لدى الهيجاء ذو شغب يسابق الطير حتى ليس يلتحق (٢)

٣ — المعروف أن فاعلا وصفا لمذكر عاقل لا يجمع على فواعل إلا ماشذ، وقد عدت المعاجم من الشاذ فوارس ، وهوالك ، ونواكس، وزاد بعضهم كالمصباح سابق وسوابق، خالف وخوالف ، وزاد البغدادى فى الخزانة عند التكلم على قول الفرزدق ،

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضعَ الرقاب نواكس الأبصار:

غائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، وخاشع وخواشع وهذه عن ابن خالويه ، وخاطىء وخواطىء ، وحاجب وحواجب ، وحاجّ وحواجّ ، وداج ودواج بمعنى الأعوان والمكارين عن الجواليقى ، رافد وروافد عن المفضل ولم يذكروا من بين الشواذ باسل وبواسل ومن أجل هذا نبهنا عليها فى كتاب إنشاء المقالات واستبدلنا بها بسلاء وبسلا ، وقد ذكر الشيخ محمد على الفيومى شارح شواهد شذور الذهب عند شرح الشاهد السابق: بواسل وقرأت فى شعر باعث بن صريم اليشكرى من شعراء الحماسة قوله :

وكتيبة سُفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذبُّ عن أشبالها

فإن قال قائل إن الجمع هنا ساغ لرجوعه إلى الكتيبة، قلنا وهل تكون الكتيبة من غير العقلاء ؟ إذا جاز أن تكون من غيرهم فعلى الجيوش المجاهدة العفاء، وإذا صح هذا الجمع فليس لمن اعترض على الشاعر المفلق والأستاذ الكبير

---

(١) راجع العقد الفريد ج٢ ص ١٤٠ وجمهرة خطب العرب للأستاذ أحمد صفوت بدار العلوم جزء ثان ص ٢٧١

(٢) راجع ديوانه المطبوع فى أوربة وشعره فى شعراء النصرانية .

على الجارم بك أدنى وجه من الصواب فى تخطئته فى كلمة بواسل حين قال فى تأبين عاهل العراق المرحوم الملك غازى الأول:

طرحنا رداء البأس عنا بواسلا وإن هزنا يوم العراق وإن أدا

٤ ــ زاد عن : أنكر الأدباء تعدية الفعل زاد بعن وقرروا أنها لا تتعدى إلا بعلى مستدلين بقول ذى الأصبع العدوانى.

وأنتم معشر زيد على مائة فأجمعوا أمركم طرا فكيدونى

ولكن قبيصة الجرمى وهو شاعر جاهلى من شعراء الحماسة يقول :

يزيد نبالة عن كل شىء ونافلة وبعض القوم دون

ويقول صاحب الكليات « والزيادة تلزم وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى؛ لأن نقص يتعدى به وهو نظيره أى المقابل له »

للبحث بقية

على السباعى

الجزاء العادل

رواية خلقية يقوم بأدوارها التلاميذ « ذات فصول ثلاثة »

أشخاص الرواية : أب . واص . ابنة . جند . ناس . قضاة . شهود . نظارة . الكلب « هول » سجان .

الفصل الأول

أب مسروق يندب حظه :

لم يبق لى اللصُّ مالاَ ولم يَذَرْ لى شَيَّا
فمن يقوتُ العِيَالاَ ؟ إذا حنطتُ المُحَيَّا
يارب لم أَجْنِ إثماً ولم أَضِرْ آدميا
وأنت أعدلُ حكماً فيمن أغارَ عَلَيَّا

ابنته تواسيه :

أبى ، أَلا عِمْ صباحَا أبى . فدتْكَ العيونُ
أبى ، سمعت صياحَا تُرَى أبى ما يكونُ !

حوار بينهما :

رُدِّى عليكِ الدُّموعَا فالخطب سهْلٌ يسيرُ
واسْتطلعِى لى الجُمُوعَا يَبِنْ لعينِى المَصيرُ

البنت :

جُندٌ وناسٌ وزحمةْ وضَجَّةٌ ورَبيلُ
أَتَوْا هنا فى مُلِمَّةْ تحارُ فيها العقولُ

بين البنت والأب والجند : هاهُم أُولاء . أجَلْ من ! مَنْ مُسعدى عِنْد وَيْلِى

الجندُ . فيمن ، وعَمَّنْ ، طَرَقتمُونى بلَيْلِى

بين الجند والأب : هل ذَاكَ مالُكْ ، مالى فيه احْتَمَلْتُ المُحَالَا

هاتُوا الشقِّ حيَالِى وأَوْثقوه حِبَالَا

الأب : الحمدُ لله حقًّا مَنْ مثلُه فى جَلَالِهْ؟

إلى القضاء لِيَلْقَى كلٌّ جزاءَ فِعَالِهْ .

الفصل الثانى

بين منادى المحكمة واللص : مَنِ الشقُّ الجرىءُ السالبُ الشيخِ مالَهْ

عذرا فإنى برىءٌ وما أردت اغتيالَهْ

اللص للحاضرين : إنى تقىٌّ أمينُ ولستُ بالعَيَّار

ولى وَقارٌ ودينُ فكيف اغتالُ جارى

القاضى : هل من شُهود فنقضى ؟ أو مِنْ مُحامٍ كليِمٍ ؟

أَوْلَا . فدُونَكَ وامضِ نسمعْ كلامَ الغريِم

أحدالشهود: إنى رأيتُ بعيْنِى هذا الشقىَّ المشوَّهْ
تسلّق الدارَ ، بينى وبينَه قِيدُ خُطوَةْ

شاهد آخر: أبصرتُ هذا يُهَرْوِلْ وفى يديه متاعُ
وحين ناديتُ أُمهِلْ بدا عليه ارْتياعُ

القاضى : إلىَّ بالكلب هَرْوِل يقتافُ منه الأثَرْ
السارق : ويْلِى إذا طاف حَوْلَى هوْلٌ سيجلُو الخبرْ

الفصل الثالث

القاضى : قامتْ عليك الأدلّةْ فصرتَ لصًّا مُهِينَا
ومالديك تَحِلّةْ فالسجنُ خمسَ سنينَ

السارق يندب حظه : أطعتُ شيطان جهلى وعشتُ عيش الطَّغَامِ
ولفَّ بى كلُّ نَذْلٍ فبُؤتُ بالآثامِ

حكمة : من لم يُؤدّبْه عِلمُ ولم تُقوِّمْ خصالُهْ
ولم يُهذّبْه حِلمُ فالسجنُ حتماً مآلُهْ

القاضى : وأنت ياشيخ فاهنأ العـدل أنفذ حكمه
ونم بدارك واهـدأ فى ظل عـدل ورحمة

ها إن فى مصرعينا ترعى الحقوق وتسهر
الظـلم إن دام أفنى والعـدل إن دام عمر

هتاف من الحاضرين : عاش القضاء لمصر يحمى حمى المستضام
وعاش ذا النيل حرا فى ظل ملك همام

عبد العزيز محمد خليل

مدرسة الحلمية للبنات

فهرس

العــــدد الأول من السنة السادسة